رؤيــة أنثروبولوجيــا بعد الحداثه
لقضــايا التغيــر الاجتمـاعى

مقدم من

عاليـــه حلمى عبد العزيز حبيب

مـدرس علـم الاجتماع

كليـة البنـات- عيـن شمـس

مقـدم الى لجنة ترقيات الأساتذه المساعدين

(علـم الاجتمـاع)

ينـــاير ٢٠٠٣

مقدمة :-

يدور موضوع هذه الدراسة حول : رؤية أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة لقضايا التغير الاجتماعي ، وتتناول ثلاثة محاور أساسية ، يعرض أولها لأنثروبولوجيا ما بعد الحداثة في التراث الأنثروبولوجي وتبدأ بعرض سريع للاتجاهات الكلاسيكية والنقدية في الأنثروبولوجيا وموقفها من قضايا التغير الاجتماعي ، والتي بلورت فيما بعد فكر أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة . ويختص المحور الثاني بأنثروبولوجيا ما بعد الحداثة ، حيث يناقش مفهوم ما بعد الحداثة والمفاهيم المرتبطة به ، يلي ذلك رؤية أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة لقضايا التغير الاجتماعي .

أما المحور الثالث ، فتقدم فيه الباحثة نماذج لقضايا وموضوعات أثارتها أفكار ما بعد الحداثة – حيث التأكيد على كل ما هو ثقافي وذاتي ووجداني ، والاهتمام بالفرد وعالمه الذي يعيش فيه – ومن هذه القضايا على سبيل المثال قضايا البيئة والصحة ، الهوية القومية والمواطنة ، المرأة والنوع الاجتماعى ، وقضايا الثقافة الاستهلاكية .

أولا : أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة فى التراث الأنثروبولوجي

تمتد حركة أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة إلى مراحل تشكل وتبلور ملامح الحركة النقدية في الأنثروبولوجيا . وتعتبر المرحلة النقدية في الأنثروبولوجيا امتدادا للمرحلة الكلاسيكية . ومن الجدير بالذكر أن كل مرحلة من هذه المراحل كانت تقدم رؤية نظرية ومنهجية مغايرة في دراسة التغير الاجتماعي . وفى ما يلي أعرض بإيجاز لأهم ملامح الأنثروبولوجيا الكلاسيكية ورؤيتها لقضايا التغير الاجتماعي ، ثم أعرض لملامح الأنثروبولوجيا النقدية تلك التي أفرزت أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة وإلى أى مدى قدمت رؤية جديدة للتغير الاجتماعي . لذلك سيشتمل هذا الجزء على نقطتين رئيسيتين:

١. رؤية الأنثروبولوجيا الكلاسيكية لقضايا التغير الاجتماعي .
٢. الأنثروبولوجيا النقدية وبدايات أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة .

١. الأنثروبولوجيا الكلاسيكية وقضايا التغير الاجتماعي

اكتسبت الوظيفية حضورا قويا في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا خلال معظم فترات القرن الماضي . وقد تجسدت الوظيفية في معظم أعمال علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع . حيث اتخذت صورة التحليل المنهجى المنظم للوقائع الاجتماعية والنظم ، ولكنها ما لبثت بعد ذلك أن تحولت إلى " ايديولوجيا " تسعى إلى المحافظة على الأوضاع القائمة ، وصيانة الوظائف التي يؤديها النسق الاجتماعي على مختلف مستوياته (محمد على محمد ، ١٩٨٦ : ٤٤٣) . وإذا كانت الوظيفية تضرب بجذورها في أعمال الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع ، فقد اكتسبت الوظيفية أيضا صيغة محددة في الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية .

وقد اختلف رواد علم الاجتماع في نظرتهم للتغير الاجتماعي ، حيث انصب اهتمامهم في دراسة التغير على جانب واحد فقط وهو من أين يأتى التغير ؟ هل من داخل النسق ، أم من خارجه ؟ وأيهما أشد قوة وإحداثا للتغير ؟ . أي جاء التركيز منصبا على البحث عن اتجاهات التغير ، أكثر من الاهتمام بمعرفة أسبابه وعوامله . وقد تباينت آراء علماء الوظيفية حول هذه القضية ، فمنهم من أكد على العوامل الداخلية باعتبارها أشد قوة واكبر أثرا في إحداث التغير ، ومنهم من ركز على الرأي المقابل وأكد عليه . ومن أصحاب الرأي الأول " دور كايم " الذي أكد على أن العوامل الداخلية المتمثلة في زيادة الكثافة السكانية،و الكثافة الاجتماعية هي التي تؤدى إلى التغير في الشكل البنائى للتنظيم (على ليلة ، ١٩٨٢ : ١٠٠) . كذلك يكمن التغير عند ماركس في قلب النظام الاجتماعي على أساس أن كل مرحلة تاريخية تحمل في طياتها بذور التناقض الذي يؤدى حتما إلى تغيرها . فالتغير الاجتماعي عند ماركس – كما يشير جوردن مارشال – هو محصلة للصراع على الامتيازات بين الطبقات أو الأعراق أو الجماعات الأخرى ، وليس باعتباره ثمرة لعملية البحث عن الإجماع Consensus (جوردن مارشال ، ٢٠٠٢ : ٤٣٤) .

أما عن عوامل التغير الاجتماعي ، فنجد إنها تنوعت تبعا لاختلاف المفكرين الاجتماعيين الذين تناولوا تفسير ظاهرة التغير . فقد أرجع بعض المفكرين التغير إلى عوامل جغرافية ومن هؤلاء بن خلدون ومنتسكيو ، حيث بالغا في تقدير أثر البيئة الجغرافية في إحداث عملية التغير . في حين أكد ماركس على العوامل الاقتصادية كعوامل حاسمة في حدوث التغير. ورأى البعض أن التغير يبدأ بظهور المخترعات في مجال التكنولوجيا . وهناك من ربط بين حدوث التغير الاجتماعي وعدة عوامل أخرى منها عوامل بيولوجية ، وتكنولوجية وثقافية. ومن هؤلاء " ماكيفر" الذي يرى أن العمليات البيولوجية هى التي تحدد النوع ، والوراثة وما يتبع ذلك من تنوع الأجيال . كذلك تلعب العوامل التكنولوجية دورا في حدوث عملية التغير نتيجة تأثيرها وسرعة انتشارها وتقدمها. ويربط ماكيفرالعوامل الثقافية بمفهوم الهوة الثقافية الذي صاغه وليم أوجبرن والذي ميز فيه بين الثقافة المادية السريعة الاستجابة للتغير ، والثقافة غير المادية البطيئة الاستجابة للتغير (عالية حبيب ، ١٩٨٦ : ١٥) .

وثمة من أرجع أصل التغير للأنماط السلوكية وشخصية الأعضاء المكونين للنسق نفسه ، حيث يرى بارسونز أن الثقافة تصب تأثيرها في البداية على الشخصية ، ويكون تأثيرها المباشر على المعرفة الامبريقية ، وبعد ذلك يصل التأثير إلى المعرفة الاجتماعية ومن هنا يحدث التغير (Tallcott Parsons , 1973 ; 77). وقد اعتمد رواد علم الاجتماع فى تفسير قضايا لتغير

الاجتماعي على نوعين من النظريات وهى ، النظريات الحتمية Determinism أو السببية ، والنظريات التطورية .

وتركز الأولى في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد فحسب – كالاقتصاد أو المناخ أو غيرهما – بوصفه العامل الوحيد الذي يحرك كل العوامل الأخرى . ومن هذه النظريات الحتمية ، الحتمية الجغرافية التي ساد الاعتقاد فيها بأن ثمة علاقة بين طبيعة الطقس الذى يعيش فيه الإنسان ، وبين طابعه الاجتماعي . والحتمية البيولوجية التي تأسست على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس ، وجماعات متميزة بيولوجيا ، وأن الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير حياة اجتماعية وتنميتها . وأن نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هى مؤشر على قدرتها البيولوجية (أحمد زايد ، اعتماد علام ، ٢٠٠٠ : ٤٢ – ٤٤) .

في حين فسرت النظريات التطورية التغير في ضوء اتجاهه: خطى أم دائري . حيث يذهب الاتجاه الأول إلى أن الإنسان والمجتمع يتقدمان عبر خطوات محددة للتطور، تنتهي إلى أعقد المراحل وأكملها . ومن المفكرين الاجتماعيين الذين تبنوا هذه النظرية سان سيمون الذي كان يؤمن إيمانا كاملا بحتمية التقدم البشرى ، وبأن كل مرحلة من مراحل النمو تعتبر أفضل من سابقتها . كما سار على نهج سان سيمون أوجست كونت الذي وضع قانون المراحل الثلاث ، حيث رأى أن الإنسانية مرت بثلاث مراحل تميزت كل منها بمرحلة معينة من مراحل التفكير . وهذه المراحل هى : المرحلة اللاهوتية ، و الميتافيزيقية ، والمرحلة الوضعية . في حين يذهب أصحاب الاتجاه الدائري إلى أن التغير يتجه صعودا وهبوطا في تموجات على شكل أنصاف دوائر متتابعة وبنظام مطرد بحيث يعود المجتمع من حيث بدأ في دورة معينة (عبد الباسط حسن ، ١٩٨٢ : ٥١٤ – ٥١٩) .

وفضلا عن هذه النظريات الحتمية والتطورية ، إلى جانب الوظيفية التي ركزت في تفسير التغير الاجتماعي على التغير التدريجي والتوازنى ، والنظرية الماركسية التي ركزت على التغيرات الثورية التي تنقل المجتمع من حالة إلى حالة ، كانت هناك نظرية التحديث الوظيفية التي تختلف عن الوظيفية في إنها ترى أن التحول في دول العالم الثالث يسير بشكل منتظم نحو تحقيق النموذج المثالي للمجتمعات الغربية. في حين أن أنصار نظرية النسق الرأسمالي العالمي يرون خلافا لذلك أن حركة التغير في مجتمعات العالم الثالث تسير نحو مزيد من التخلف وأنه إذا تحققت فيها جوانب للتنمية فأنها تظل تنمية تابعة وغير مستقلة (أحمد زايد ، اعتماد علام ، ٢٠٠٠ : ٥٩) .

ولا تختلف نظرة الأنثروبولوجيين الوظيفيين الكلاسيكيين كثيرا عن نظرة رواد علم الاجتماع للتغير الاجتماعي ، فيعد مالينوفسكى أحد المؤيدين لدور العوامل الخارجية في إحداث التغير الاجتماعي ، حيث يذهب إلى أن التغير يعنى وطأة أو تأثير ثقافة عليا نشيطة على أخرى بسيطة وسلبية . وقد اجتهد مالينوفسكى في التعرف على الثقافات الأخرى الأجنبية وفهمها من خلال المعايشة اليومية للمجتمع (Bryans S.Turner,1996:199) . ويؤكد مالينوفسكى على ثلاث نقاط أساسية يجب الأخذ بها عند دراسة التغير الاجتماعي وهى :

- التعرف على الثقافة الطارئة بنظمها ومقاصدها واهتماماتها .
- التعرف على القدر الموجود من عادات ومعتقدات السكان المحليين بل وتقاليدهم الحية .
- رصد عمليات الاتصال والتغير ، تلك التي يتقابل فيها أعضاء الثقافتين .

كما أكد مالينوفسكى على الاهتمام بإعادة تركيب الماضي عند دراسة التغير الاجتماعي، حيث أن التغير لا يمحو الماضي بصورة كاملة . ويرى البعض أن معالجة مالينوفسكى لقضايا التغير

بالشكل السابق ، تجعلنا نذهب إلى أن نظرته للتغير لم تفصح عن رؤية بنائية وظيفية ، بل هى أقرب أن تكون رؤية تطورية أو انتشارية . فقد اتفق مالينوفسكى مع بعض قضايا التطورية والانتشارية ، واختلف مع بعضها الآخر . ففي التطورية ركز مالينوفسكى على الدراسة المعاصرة لعملية التغير الاجتماعي ، كما أعطى أهمية للتاريخ لأنه يساعدنا فى فهم الحاضر من خلال التعرف على الماضي ، ولكنه يرفض فى التطورية أي تتبع تطوري أو تاريخي للنظم لمعرفة تطوره أو تغيره . أما بالنسبة للانتشارية فقد كانت معالجتها للتغير عن طريق انتشار أو استعارة بعض السمات من ثقافة إلى أخرى ، في حين رفض مالينوفسكى أن يكون الانتشار أو الاستعارة متعلقا بسمات الثقافة ، بل يتعلق أساسا بالنظم ، لأن النظم عنده تعد وحدة للتحليل وهى أيضا وحدة للتغير(على ليلة ، ١٩٨٢ ، ١٥٠) .

وتحظى دراسة التغير الاجتماعي بأهمية كبرى عند راد كليف برا ون ، فهو يرى أن استخدام كلمة النسق وما تحويه الكلمة من دلالات ، تفرض علينا أن نميز بين النسق المستقر الذي قد يستمر بتغيرات بسيطة نسبيا لفترة ما من الزمن ، والحالة غير المستقرة للمجتمع الخاضع لعملية التغير السريع . وينشأ التغير عند راد كليف براون من حالة عدم اتساق تنتاب النسق ، فتدفعه إلى طرح قضية التغير لحل معضلات كافية. و بقدر حجم عدم الاتساق ، يكون حجم التغير، و طبيعته و نوعه (تدريجيا أو فجائيا). ومع ذلك يؤكد راد كليف برا ون على أن البناء يظل متماسكا حتى فى أعنف حالات التغيرات الثورية. ويوافق راد كليف براون على كافة درجات التغير ، طالما إنها تؤدى وظيفة معينة ، حتى لو كان هذا التغير هو تغيير الشكل البنائى ذاته بحثا عن الاتساق ، والتكامل ، والتوازن .

وعن مصادر التغير عند راد كليف برا ون نجد أنه يؤكد على إمكانية قيام التغير بفعل عوامل خارجيه أو بفعل عوامل داخلية . ويأتي التغير من الداخل في حالة إذا ما تسبب أحد عناصر البناء في إجراء تعديلات في بقية أجزاء البناء الاجتماعي . أما التغير من الخارج فهو يأتى بسبب المؤثرات الخارجية كالمؤثرات الأوربية التي طرأت على المجتمعات الأفريقية، و أحدثت تحولات في تلك المجتمعات . وان كانت أغلب الدراسات التى أجريت على المجتمعات البدائية قد ركزت على دراسة نوع واحد من التغير وهو تغير الحياة الاجتماعية . وقد أولى راد كليف برا ون أهمية للجانب الديني فى إحداث التغير أكثر من الجوانب الاقتصادية (على ليلة ، ١٩٨٢ : ٢١٤ – ٢١٨) .

ويمكن أن نخلص مما سبق إلى أن دراسة التغير الاجتماعي ، قد شغلت اهتمام الأنثروبولوجيين الوظيفيين من منطلق إدراكهم لضرورة وأهمية قضية التغير الاجتماعي ، خاصة أنهم قد عاصروا الاستعمار ومؤثرا ته ، وكثيرا من العوامل الأخرى التي قد تستدعى التغير . ولكن يؤخذ عليهم أن نظرتهم لمعالجة التغير كانت قاصرة ، فالتغير يتم بصورة بطيئة، وتدريجية حتى الثوري منه كما أشار راد كليف برا ون . وهم بذلك يؤكدون على التوازن ، والثبات ، والاستقرار و التكامل ، مهملين بذلك التغير . وقد نتج عن ذلك أن وجهت العديد من الانتقادات إلى الأنثروبولوجيا الوظيفية، معظمها يركز على إهمال التغير ، والآخر يركز على مبالغة الوظيفيين في دور الإجماع ، وبحث دور الصراع في قيام المجتمع بأداء وظائفه ، حيث أن الإجماع Consensus من وجهة نظرهم شرط سابق للتوازن (دونال ، ٢٠٠٢: ١٤١- : ١٤٢) .

والحق أن هذه الانتقادات التي ركزت على إغفال الوظيفيين لقضية التغير – كما يشير جوردن مارشال – ليست دقيقة كل الدقة فقد نظرت نظرية بارسونز في التطور إلى التطور التاريخي في ضوء التباين وإعادة التكامل بين الأنساق الرئيسية والفرعية ، ومن هنا تستطيع هذه النظرية أن تفسر التغير ويمكن أن تفسر الصراع – على الأقل قصير المدى – إلى أن يستعيد التكامل بين الأنساق قوته من جديد . كما أن وجود التفسيرات الوظيفية في الماركسية يدل على أنها يمكن أن توجد إلى جانب الاعتراف بوجود التناقضات في الأنساق الاجتماعية . ولقد كان دور كايم نفسه قادرا على ربط التفسيرات الوظيفية بصورة من صور الاشتراكية النقابية كانت راديكالية في بعض الأحيان (جوردن مارشال ، ٢٠٠٠ : ١٦٠٢) . كذلك أشار أنتونى جيدنز في كتابه " علم الاجتماع " ، إلى إسهامات ميرتون في دراسة التغير حيث ميز ميرتون بين الوظائف الظاهرة و الكامنة ، كما ميز بين الوظيفية والاختلال الوظيفى . ويقصد ميرتون بالاختلال الوظيفى جوانب النشاط الاجتماعى التي تؤدى إلى التغير ، لأنها تهدد التماسك الاجتماعى . ولذا فهو يناشدنا عند دراسة العالم المعاصر أن نكون واعين بالاتجاهات المفضية إلى التفكك (أنتونى جيدنز ،٢٠٠٢ : ٣٩٤) .

وثمة انتقادات أخرى – بعيدا عن التغير – وجهت إلى الأنثروبولوجيا الوظيفية ، حيث أخذ عليها نظرتها الجزئية في تناول مشكلات المجتمع المسببة للتغير ، أو بعبارة أخرى أنها ركزت على أن التغير يحدث من داخل النسق نفسه وليس من خارجه . فقد كان التركيز على العوامل الكامنة في داخل المجتمعات سواء كانت عوامل ثقافية كما طرحها الفكر المثالى المحافظ ،أو مادية كما قرر بها أصحاب الفكر النقدى الراديكالى (أحمد مجدى حجازى ، ٢٠٠٠ : ١٨٩) .

كما تصدت نظرية الفعل ، والأنثروبولوجيا الماركسية ، فضلا عن اتجاهات أخرى لتفنيد الاتجاه الوظيفي ، داعية إلى دراسة الصراع والمنافسة الفردية ، والجماعية والطبقية كعوامل تؤدى إلى التغير الاجتماعي والتاريخي (شارلوت سيمور ، ١٩٩٨ : ٧٤٠) . وتؤكد على دور الفعل والفاعلين في تشكيل المجتمع . فنظرة الأنثروبولوجيا الوظيفية إلى المجتمع على أنه يسعى إلى التوازن ، وأنه يقوم بوظائفه بنفس طريقة الكائن الحي ، لم تفسح المجال للنظر في الفعل الاجتماعي المقصود ، فالأعضاء في الكائن الحي - كما يشير دونال - لا تفكر ولكن الناس يمتازون بالتفكير (دونال ، ٢٠٠٣ : ١٤٠). وقد أشار آلان تورين إلى أن تكريس الوظيفية لفكرة سيطرة النظام الاجتماعي على الفاعلين ، جعلها تغفل دراسة الجانب الآخر في المجتمع ، وهو الحركات الاجتماعية التي يعبر بها الفاعلون عن ذواتهم في مواجهة سيطرة وقهر بعض المؤسسات كالأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع ، والدولة (آلان تورين ، ١٩٩٧ : ٩) .

ونتيجة تلك الانتقادات السابقة التي وجهت إلى الأنثروبولوجيا الوظيفية ، ظهرت بدايات أزمة الأنثروبولوجيا في منتصف الستينات و أوائل السبعينات ، حيث ظهرت مشكلتان تتعلق الأولى : بكفاءة الوظيفية نظريا ومنهجيا نتيجة عدم استيعابها لتغيرات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، أما الثانية ، فتدور حول المسئولية الأخلاقية وأزمة الثقة والقدرة على توظيف المعرفة لأغراض عملية (السعيد المصري ، ١٩٩٢ : ٤٥) . وقد أشار إلى تلك الأزمة أيضا جيروس باناجى Jairus Banaji الذى أوضح فى مقالة بعنوان " أزمة علم الأنثروبولوجيا البريطانى " أن علم الأنثروبولوجيا يواجه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مشكلتين لم يتم إيجاد حل لهما ، الأولى : أنه مع ظهور الإمبريالية، أصبح هذا النظام عاجزا عن النكيف مع العالم المناهض للأستعمار ، وقد ازداد الأمر صعوبة بسبب عدم امكانية تطبيق موضوعات ووحدات التحليل التقليدية في عالم

استعمارى متغير . المشكلة الثانية هى فشل علم الأنثروبولوجيا في الاستجابة لتحدى البنائية الوظيفية على صعيد هذا العلم (Archie Mafeje, 1998 : 5) . وبناء على ذلك كانت بدايات النظرية النقدية فى الأنثروبولوجيا ، والتى جاءت كمحاولة لحل هاتين المشكلتين . وتمثل أعمال ليتش E.Leach بداية الحركة النقدية في الانثروبولوجيا الكلاسيكية حيث أخذ على الوظيفية الأنثروبولوجية ، ما اتسمت به من تحيز امبريقى. ويقصد به هنا وقوع الباحث أسير خبرة محدودة ، ومحددة بمجتمع معين أجرى فيه بحثا مكثفا . كذلك كان إدراك الأنثروبولوجيا للاستعمار في ذاك الوقت لا يتعدى تفسيرها إلا في ضوء بعض العبارات ، كالصدمة الثقافية ، أو الاحتكاك الثقافي أو التثقيف ، وفى مرحلة متأخرة بدأ يعبر عنها بالتغير الاجتماعي (السعيد المصري ، ١٩٩٢ : ٨) .وهذا ما سنناقشه فيما يلى :

٢- الأنثروبولوجيا النقدية وبدايات أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة

ترجع البدايات المبكرة للأنثروبولوجيا النقدية إلى الأربعينيات من القرن العشرين في المجتمع الأمريكى ، كرد فعل للأنثروبولوجيا الكلاسيكية (الوظيفية) التي نشأت في أوروبا، وذلك من خلال فكرة النسبية الثقافية التي بلورها (هير سكوفيتس) وكانت بمثابة نقد للحتمية الأنثروبولوجية البريطانية (شارلوت سيمور ، ١٩٩٨ : ١١) . وتنطلق فكرة الحتمية من وحدة الطبيعة الإنسانية في نظرتها للمجتمعات الإنسانية كافة ، وان الاختلاف بين المجتمع البدائي والحديث هو فرق في التطور التاريخي . أما النسبية الثقافية فهي تنكر وحدة الطبيعة ، ووحدة التاريخ ، وتؤمن بالتنوع الثقافي وترفض الرؤية العالمية للثقافة . (السعيد المصري ، ١٩٩٢ : ٢٣) .

وقد ارتبط اتجاه النسبية الثقافية ، باتباع وتلاميذ بواس في أمريكا الشمالية ، ويقوم هذا الاتجاه على أن لكل ثقافة أو مجتمع ، منطقه الخاص وتمسكه الداخلي اللذان يمكن في ضوئهما تفسير عاداته ومعتقداته . كما يفترض هذا الاتجاه سلفا أن الثقافات أو المجتمعات عبارة عن أنظمة مغلقة ، مكتفية بذاتها تخلق بداخلها واقعا مستقلا ، لا يواجه واقع الوحدات الأخرى (شارلوت سيمور ، ١٩٩٨ : ٦٧٧) . أو بمعنى آخر تقوم النسبية الثقافية على أن الثقافات لا يمكن أن تفهم بأفكار مستوردة من ثقافة أخرى ، فضلا عن أنها تعنى من جانب آخر أن كل الثقافات هى تأويل متساوي المصداقية مع الواقع ، أى أنها كلها متساوية الصدق (كاى ملتون ، ١٩٩٧ : ٥). ويرفض اتباع النسبية الثقافية المسلمات العقلانية ، والفروض ذات الطبيعة العامة الشمولية التي تنهض عليها النظريات الكبرى كالوظيفية ، أو الماركسية ، أو التحليل النفسي عند فرويد (شارلوت سيمور ، ١٩٩٨ : ١٤٦) . وتجمل شارلوت سيمور ملامح النسبية الثقافية بوصفها أداة نقدية واتجاها مضاد للأنثروبولوجيا البريطانية فيما يلي :

١- رفضها فكرة تدنى الشعوب غير الغربية ، وكذلك رفض الزعم بوجود تاريخ راكد أو ساكن لهذه الشعوب .
٢- التركيز على التنوع الثقافي .
٣- تجاوز النزعة الامبريقية الفجة والمبسطة ، وإبراز الذاتية في الأنثروبولوجيا .
٤- التأكيد على الجوانب الإنسانية سواء من النواحي المنهجية ، أو الأخلاقية في ممارسة الأنثروبولوجيا .

وقد تبلورت الحركة النقدية في الأنثروبولوجيا في السبعينيات والثمانينيات ، وقد ظهر ذلك- كما أشارت شار لوت سيمور - حينما اكتشف الأنثروبولوجيون انهم أخفقوا في فهم

مجتمعات العالم الثالث ، وحاولوا التخلص من تمركز الاتجاه الكلاسيكي المحافظ حول السلالة، والنظرة الدونية للمجتمعات المتخلفة . نظرا لان الأنثروبولوجيا الوظيفية على امتداد الستينيات ، لم تستطع بتراثها العريض من مفاهيم ونظريات وسياسات أن تفهم مجتمعات المستعمرات السابقة نتيجة تأكيد مفاهيمها على التناغم ، و الثبات ، والاتساق مما جعلها عاجزة عن ملاحقة التغيرات العنيفة التي أخذت تتعرض لها الدول الجديدة ، بل إنها كانت دائما في تغير لم تستطيع عيون الباحث المحافظ أن تكشف عنه . (شار لوت سيمور ، ١٩٩٨ : ١٣) فقد بدأت الأنثروبولوجيا النقدية في مراجعة التراث الأنثروبولوجي ، ومحاولة تخليصه من الروابط الاستعمارية التي طالما تردد فيها الدور التاريخي للاستعمار في تطوير الأنثروبولوجيا ، وكذلك ادعاء البعض بأن الأنثروبولوجيين كان لهم دور خفي في الحفاظ على القوى الاستعمارية الجديدة .

ومن الذين أكدوا على دور الاستعمار في نمو الأنثروبولوجيا هوكر Hooker ١٩٦٣ ، الذى يرى أن عالم الأنثروبولوجيا هو صنيعة Handmaiden الحكومات الاستعمارية . وفى عام ١٩٦٦ أشار ليفى شتراوس Levi-Strauss إلى أن علم الأنثروبولوجيا يمثل حيلة استعمارية زائلة ، كما عبر في مقالة بعنوان " إنجازات ومستقبل علم الأنثروبولوجيا " عن تقديره للعداء المتنامى فى الدول النامية تجاه علم الأنثروبولوجيا ، والتى يمثل ركنا رئيسيا من أركان عملية الهيمنة مما ساعد على تأسيس النزعة الاستعمارية . وأضاف شتراوس أنه لكى يتم إضفاء الشرعية على علم الأنثروبولوجيا ، يجب أن يخضع لعملية تغيير و تبديل وتحرر من النظام الاستعماري ، كم يجب أن يعمل علم الأنثروبولوجيا على دراسة المجتمع من الداخل . كذلك سعت جوف Gough إلى جعل علم الأنثروبولوجيا علما راديكاليا من خلال الاقتراح بضرورة التوقف عن تفسير العالم غير الغربى من وجهة نظر مبادئ المجتمع الرأسمالي الغربى ، واقترحت أن يهتم علم الأنثروبولوجيا بدراسة المشكلات الناجمة عن نمو الثورات النضالية ضد الإمبريالية الغربية والأمريكية بشكل خاص (Archie Mafeje , 1998 : 3- 4) .

كما وجهت الأنثروبولوجيا النقدية اهتمامها لأوهام الوضعية الزائفة التي بالغت في وصف المجتمعات التقليدية بالإجماع ، والتماثل واللافردية . وقد ظهر ذلك في كل من المدرسة البنائية الوظيفية البريطانية ، والأنثروبولوجيا الأمريكية ، حيث ركز الاتجاهان على المفاهيم السابقة ، وأغفلوا درجة التنوع ، وعدم الاتفاق القائم فعلا في أي مجتمع إنساني ، كما أهملوا درجة المرونة والإبداع والتغير في الأنساق الاجتماعية الثقافية . وقد حاولت الأنثروبولوجيا النقدية بذلك أن تعيد صياغة أنثروبولوجيا جديدة في عالم ما بعد الاستعمار ، تبلورت ملامحها فيما يلي :

١- الاهتمام بالدراسة الاثنوجرافية الخاصة لشعب معين عبر فترة زمنية .
٢- التعرف على تأثيرات النظام العالمي على شعب معين .
٣- الإيمان بأوجه الكمال الداخلي للنسق الثقافي – البناء – وتسعى لإلقاء الضوء عليه، ولكن دون أن تفترض في هذا النسق التجانس ، أو الوظيفية أو الحفاظ على الماضي .
٤- رفض استخدام مصطلحات تنطوي على دلالة عنصرية أو تعصب لنوع (رجال / نساء) أو الإيحاء بمكانة متدنية (ثقافة بدائية / مجتمع بدائي)

والجدير بالذكر أن هذه الملامح هي ذاتها الأفكار التي بلورتها أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة، التى جاءت لتحث الأنثروبولوجيين على ضرورة تجاوز التصور الأثنوجرافى ، وإعادة التفكير في مفهوم الثقافة وأن يحددوا مفهوم السياسة الثقافية الحالية في ضوء التركيب العالمي

الجديد للرأسمالية ، وتغير الظواهر الثقافية لاقتصاديات العالم متعدد الجنسيات . وتؤكد آنيت وينر Annette B. Weiner على نفس المقولة في مقالة بعنوان " الثقافة وما تثيره لنا من قلق " حيث تشير إلى ضرورة أن تعيد الثقافة تشكلها لمواجهة حالة التشظى Fragmentation فى مرحلة ما بعد الحداثة (Annette B. Weiner,1995:14). ويرى دون روبوثام Don-Robotham أن الأنثروبولوجيا لكى يكون لها إسهام متميز لابد أن توسع مجالها إلى ما هو أبعد من مجرد الانشغال الحالى بأمور ما بعد التحديث ، بل وعليها إعادة صياغة بعض الافتراضات والمفاهيم الراسخة التى تستخدمها منذ فترة دون تغيير أو مناقشة ، خاصة ما يتعلق بقضايا التحديث والأخذ بما هو غربى . وذلك كى تتحرك من وضعها الجامد إلى وضع تتبنى فيه مفاهيم ووجهات نظر أوسع وأرحب (دون روبوثام ، ٩٩٧ : ٩١).

كذلك رفضت أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة وضع حدود ثقافية صلبة ، حول شعوب معينة دون الأخذ في الاعتبار اتصال تلك الشعوب بشعوب أخرى ، ووجود تيارات عديدة تحدث في تاريخ العالم . كما نادت بضرورة عدم الاعتماد على أفعال وأقوال "تصرفات" الذكور الوطنيين في التعبير عن الواقع الاجتماعي ، والذي لا يعبر سوى عن أيديولوجيا خاصة بهم ، مثال الحط من شأن المرأة ، وهيمنة الرجال على النساء وهذا ما رفضته الاتجاهات النسوية . كما طالبت أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة أيضا بضرورة الانصهار في السياق الثقافي المعقد للرأسمالية المتأخرة ، وعصر ما بعد الاستعمار الذي سيطر عليه اقتصاد متعولم ، وعالمي متعدد الجنسيات (Coombe , Rosemary J , 1991 : 188) .

فالأنثروبولوجيا النقدية وأنثروبولوجيا ما بعد الحداثة تسعى إذن إلى إثارة تساؤلات جديدة، حول المجتمع والثقافة ، كما تسعى إلى الإجابة عنها بطريقة تخدم فهم شعوب العالم على اختلافها ، والإسهام في إحياء وتجديد الطابع الإنساني والعلمي للأنثروبولوجيا الثقافية (شار لوت سيمور ، ١٩٩٨ : ١٥ - ١٦)

وقد أدى اهتمام الاتجاهات النقدية الأنثروبولوجية بتفنيد المقولات المستقرة في الأنثروبولوجيا الكلاسيكية والسعى لتقديم رؤية جديدة تساعد على فهم شعوب العالم على اختلافها إلى توجهها لأن تأخذ بالتراث المعاصر لبعض المدارس الفكرية الكبرى النشطة لرفع المستوى الفكري لعلم الأنثروبولوجيا وكذلك إضفاء عمق على عملية تحليل بيانات الدراسات الميدانية . ومن هذه الاتجاهات فضلا عن الأنثروبولوجيا الماركسية ، الاتجاه الفينومينولوجى ، والاتجاه الاثنومثيودولوجى ، ونظرية الفعل البنيوية ، خاصة إسهامات ليفي شترا وس .
وسوف نعرض في عجالة لكل من هذه الاتجاهات للتعرف على الجوانب المنهجية الجديدة التي اضافتها لعلم الاجتماع و الأنثروبولوجيا .

ا- الاتجاه الفينومينولوجى : (الظاهراتي) Phenomenology

ترجع أصول الفينومينولوجيا ، إلى الفليسوف أدموند هوسرل ، Edmund Husserl ١٨٥٩ – ١٩٣٨ ، وهى تشير إلى مجموعة من المداخل للبحث الفلسفي والاجتماعي ، ودراسة الفن . ويركز هذا الاتجاه على التجربة الإنسانية الواقعية ، كما يؤكد على ضرورة تحرير الإنسان من أحكام وتصورات العالم الموجود فيه ، ليعود إلى مجال خبرة الذات وما لديها من حقائق يقينية . ويؤكد ذلك ما اتخذته الفينومينولوجيا من شعار " الأشياء كما هي نفسها " Thing

themselves (Andrew Edger, 2002 : 271) وتعد فكرة عالم الحياة ، هي الفكرة الأساسية لأعمال هوسرل الفينومينولوجية ، التي تشير إلى عالم الواقع الملموس لخبرة الفرد المعاشة – وهى فكرة تعاكس تفسير علماء الطبيعة لهذا العالم ذاته – ويذهب هوسرل أيضا إلى أن هذا العالم هو نتاج الثقافة والأزمنة التي نحياها (زينب شاهين ، ١٩٨٧ : ٤٦) . فعالم الحياة اليومية لا يمكننا فقط من فهم العالم ، بل يمكننا من فهم بنية المجتمع ككل ، وفهم طبيعة النظام الاجتماعي (احمد زايد ، ١٩٩٢ : ٥٧) . وهكذا يمكن أن نخلص إلى أن الفلسفة الظاهراتية كما ترى شارلوت سيمور ، تستهدف وصف الأبنية ، والعمليات الفكرية . (شارلوت سيمور ، ١٩٩٨ : ٥٥٢) .

ب - الاتجاه الاثنوميثودولوجى (المنهجية الشعبية) : Ethno methodology

يعرف أند رو أيد جر Andrew Edgar الاثنوميثودولوجى على أنه الطريقة التي يقوم بها أفراد المجتمع لخلق عالم اجتماعي يعيشون فيه . وهى بذلك تعارض اتجاهات علم الاجتماع (الوظيفية والماركسية) التي تفترض مسبقا أن المجتمع حقيقة مستقلة عن الفاعل الاجتماعي وتأثيراته . (Andrew Edgar , 2002 : 134) ويعرف جار فينكل – وهو مؤسس هذا الاتجاه – الاثنوميثودولوجى على إنها المعرفة المنظمة التي يملكها الفرد بالنسبة لأموره أو شئونه العادية . ويعرفها آخرون على إنها تهتم بكيفية تنظيم الإنسان لحياته اليومية في المجتمع، وكيفية جعل هذه الأنشطة ذات معنى بالنسبة له ، وبالنسبة للآخرين (زينب شاهين، ١٩٨٧: ٧٣- ٧٥) . وينهض الاتجاه الاثنوميثودولوجى كما يرى جوردن مارشال على خلفية فلسفية تتسم بالتنوع ، كما إنها تمثل إلى جانب كثير من اتجاهات ما بعد البنيوية ، وما بعد الحداثة ، إسهام علم الاجتماع فيما أصبح يعرف باسم (المرحلة اللغوية) فى الفلسفة . إذ يرى الاثنوميثودولوجيون أن الحياة الاجتماعية ، والظواهر والعلاقات الواضحة الاستقرار – فى هذه الحياة – إنما تمثل إنجازا مستمرا يتحقق عن طريق استخدام اللغة . فاللغة شئ نشترك جميعا فى إبداعه ، ونعيد إنتاجه بشكل مستمر . (جورد ن مارشال ، ٢٠٠٠ : ٨٧ : ٨٨) . وقد نجح الاتجاه الاثنوميثودولوجى في تحويل الأطر النظرية الفينومينولوجية إلى إجراءات منهجية ، وذلك ليس بالاعتماد على الملاحظات الخارجية ، ولكن بالاعتماد على الحوارات المفتوحة ، والاتجاه للأساليب شبه التجريبية . (احمد زايد ، ١٩٩٢ : ٥٨) ويمكن أن نبلور القضايا الأساسية للاتجاه الاثنوميثودولوجى في عدة نقاط هي :

١- دراسة الواقع الروتيني اليومي .
٢- البدء بدراسة الحياة اليومية .
٣- دراسة أنشطة التفاعل الاجتماعي .

حيث تعمق القضية الأولى فهمنا للسلوك الاجتماعي ، لأن معظم السلوك الإنساني من النوع المعتاد. أما القضية الثانية فنكشف من خلالها عن مدى سطحية دراسة التنظيمات ، والمؤسسات الرسمية بالمجتمع ، التي تعتمد على إحصاءات وبيانات يتفق علماء الاجتماع التقليديون على إنها ممثلة للواقع . أما دراسة أنشطة التفاعل الاجتماعي فترجع أهميتها إلى أن أنشطة الأفراد وممارساتهم هي التى تشكل الواقع الاجتماعي . ومن هنا ترى زينب شاهين ، أنه يمكن ترجمة مصطلح الاثنوميثودولوجى ترجمة حرفية إلى اللغة العربية ليصبح " منهجية الجماعة " أو " منهجية الأفراد " وان كان الأقرب لاهتمام الاثنوميثودولوجى – من وجهة نظرها – أن يعرب المصطلح إلى " المنهجية الواقعية " (زينب شاهين ، ١٩٨٧ : ٧٦ : ٨١).

وإذا كان كل من الاتجاه الفينومينولوجى والاثنوميثودولوجى قد ركزا على الأفراد وحياتهم الذاتية ، والواقع الذي يعيشون فيه ، لفهم العالم وتفسيره . فقد اتخذ ليفي شترا دس في بنيويته مدخلا مختلفا لفهم الواقع الاجتماعي وتفسيره وهذا ما سنعرض له في الفقرة القادمة .

ج- البنيوية الأنثروبولوجية : كلود ليفي – شترا وس

تكمن أهمية البنيوية كاتجاه في المعرفة في إنها تحاول أن تقدم وعيا جديدا بالمجتمع ، بما يبدو وأنه طريقة جديدة . فالبنيوية تحدد لنفسها مهمة الوصول بالعلوم الخاصة بالانسان إلى مجالات معرفية لها نفس دقة الفيزياء على سبيل المثال (أحمد القصير ، ١٩٨٥ : ١٤٦) . وقد استمدت البنيوية أفكارها من الدراسات اللغوية ، وكذلك بعض الاتجاهات داخل الأنثروبولوجيا المعرفية ، وهى اتجاهات ركزت على الظاهرة العقلية والاتصالية إلى حد تجاهلها الظروف المادية والتطورات التاريخية في المجتمع . ويعد ليفي شترا وس هو قائد المدرسة البنائية الأنثروبولوجية (١٩٦٢) ، وقد اعتبرت هذه المدرسة النموذج اللغوي أساسا لفهم الثقافة الإنسانية والعقل الإنساني . ويرى شترا وس أن الثقافة يتعين أن نفهمها كظاهرة سطحية تكشف لنا عن الاتجاه الإنساني العام نحو تنظيم وتصنيف الظواهر والخبرات المكتسبة . (شارلوت سيمور ، ١٩٩٨ : ٢٠٧)

ويشير جورج ريتزرRitzer إلى أن ليفي – شترا وس قد أخضع البيانات الأنثروبولوجية للتحليل البنائى بنفس الطريقة التي حلل بها سوسير البيانات اللغوية ، بل أنه أعاد صياغة طائفة عريضة من الظواهر الاجتماعية كأنساق للاتصال مما يجعلها بالتالي قابلة للتحليل البنائى . ويرى ريتزر أيضا أن شترا وس قد رفض في تحليلاته البنيوية ، ما يقوم به معظم علماء الأنثروبولوجيا الذين يركزون على دراسة ما يقوله الناس ويفعلونه ـ، حيث كان أكثر اهتماما بالمنتجات الإنسانية لهؤلاء الناس والعلاقات المتبادلة بينها . فقد انشغل بالبناء الاجتماعي لهذه المنتجات وليس بمعانيها الذاتية أو جذورها في العمليات الذاتية . ويرجع اهتمام شتراوس بالمنتجات الإنسانية والعلاقات المتبادلة بينها لما يمكن أن تخبرنا به هذه المنتجات عن البناء المنطقي للعقل . إلى جانب هذا ، اهتم باللاشعور لدى الأفراد ليس على طريقة التحليل النفسى الفرويدية ، بل بالأبنية اللاشعورية المنطقية لعقول الفاعلين (جورج ريتزر ، ٢٠٠٢ : ٣٢١ - ٣٣٥) . وقد ركز نقاد البنيوية على طبيعتها الاستاتيكية واللاتاريخية في جوهرها وعلى بيان الحاجة إلي تعديل مفهوم البناء ، بحيث يأخذ في اعتباره الدور الإيجابي للفرد في خلق الأنساق الثقافية الاجتماعية ، وكذلك الطبيعة التاريخية والدينامية لهذه الأنساق (شارلوت سيمور ، ١٩٩٨ : ٢٠٧) .

ونخلص من العرض السابق ، لملامح الأنثروبولوجيا النقدية التي تبلورت من خلالها أفكار أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة ، وكذلك الاتجاهات المنهجية التي عرضنا لها، الى وجود تغير نظري ومنهجي في فهم المجتمع وتفسير التغير الاجتماعي ، حيث ظهرت نظرة جديدة للدراسة الاثنوجرافية للشعوب في ضوء تأثيرات النظام العالمي . كما كان هناك اهتمام بإحياء الطابع الإنساني والعلمي للأنثروبولوجيا الثقافية . وقد تطلب ذلك الأخذ بمناهج واتجاهات جديدة تركز على حياة الناس اليومية في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتعطى اهتماما بالفاعلين ومنتجاتهم الإنسانية لفهم البناء المنطقي للعقل ، فقد أكدت أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة على ضرورة الاهتمام بالممارسات الثقافية اليومية ، وكذلك ضرورة تمثيل الجماعات الإنسانية لذاتها فيترك لهم الحديث عن أنفسهم ، وتحديد أنفسهم سياسيا وعقليا . وقد جاء كل هذا معاكسا للمنهج الوضعي الذي كان

أكثر تركيزا على المؤسسات أكثر من الأفراد .وتشير أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة إلى هذا الوضع أيضا حيث ترى أن التصورات الاثنوجرافية قد أغفلت ممارسات الحياة اليومية الأكثر مغزى وارتجالية في فهم وتفسير الحياة الثقافية (Coombe,RosemaryJ.,1991:188). ويؤكد فاسلاف هوبنجر Vaclav-Hubinger على أن الأنثروبولوجيا لكى تتمكن من البقاء على قيد الحياة فى عالم عصرى ، ينبغى أن ترجع إلى دورها السابق الذى يركز على توجيه الأسئلة التى تثير اهتمامات مزيد من الناس، وليس فقط اهتمامات الأنثروبولوجيين (فاسلاف هوبنجر ، ١٩٩٧: ١٢٦).

وبعد أن تناولت في هذا المحور رؤية الأنثروبولوجيا الكلاسيكية والنقدية لقضايا التغير الاجتماعي، وبدايات أفكار أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة سأنتقل إلى المحور الثاني الذي أقدم فيه رؤية أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة لقضايا التغير الاجتماعي .

ثانيا : أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة وقضايا التغير الاجتماعي

يتضمن هذا الجزء قضيتين أساسيتين تتناول القضية الأولى ، مفهوم ما بعد الحداثة وما ارتبط به من مفاهيم أخرى . وتتناول الثانية رؤية أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة لقضايا التغير الاجتماعي .

١ - مفهوم ما بعد الحداثة

ينسب مصطلح ما بعد الحداثة Postmodernism إلى " أرنولد توينبى " الذي بشر به في عام ١٩٧٩، في كتابه " حالة ما بعد الحداثة " . للإشارة إلى التغيرات التي شهدتها الحضارة الغربية منذ نهاية القرن التاسع عشر . وكذلك استخدمه للإشارة إلى الفترة التي تبدأ من الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ . واستخدم نفس المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية للإشارة إلى الطبقة الوسطى في الحضارة الغربية. ويرى ليوتار أن حالة ما بعد الحداثة، حالة اجتماعية خاصة متميزة وليست مجرد أسلوب إبداعي جديد أو نظرية جديدة . ويقصد ليوتار بمصطلح ما بعد الحداثة وضع المعرفة في المجتمعات بالغة التقدم ، ويفترض أن حالة المعرفة تتغير بتغير المجتمعات (ناهد سيف ، ١٩٩٩ : ٤٨ – ٥١) . ويؤكد ليوتار على أن ما بعد الحداثة هى نقد للسرديات أو التفسيرات الكبرى Grand Narratives ، فهى لا تخفى وجود التناقضات وعدم الاستقرار الملازم لأى ممارسة أو تنظيم اجتماعى – كما فعلت التفسيرات الكبرى – فكل محاولة لخلق النظام Order تتطلب فى نفس اللحظة خلقا لعدم النظام Disorder وهذا ما حاولت أن تخفيه السرديات الكبرى (Mary Klages,1997:5) . ويذهب البعض إلى أن مفهوم ما بعد الحداثة ، جاء ليجمع بين مسميات وخصائص بعض العناصر المتباينة التي تميز التغير الاجتماعي المعاصر ، كمسميات ما بعد الصناعة ، ما بعد المادية ، ما بعد الفوردية ، ومجتمع المعلومات فتلك السمات الثقافية ثم تضمينها سويا في مفهوم ما بعد الحداثة (Gilbert , Rob , 1992 : 5) .

وقد جاءت حركة ما بعد الحداثة تعبيرا عن تطورات اقتصادية وتكنولوجية تثير القلق ، كما إنها تعبر عن فوران اجتماعي و ثقافي ناشئ عن تحلل أنماط التفكير والحياة المألوفة والمستقرة ، التي كانت تسم نمط الحياة الحديثة . ولهذا يمكن القول أن البنية الاقتصادية ،

والسياسية ، والاجتماعية لحقبة الحداثة قد تفتت وتحللت لصالح بنية ما بعد الحداثة المعاصرة (ناهد سيف ، ١٩٩٩ : ١٠٥) .

ويشير بن ايجر Agger إلى مفهوم آخر ارتبط بمفهوم ما بعد الحداثة ، وهو مفهوم ما بعد البنيوية . وإذا كانت ما بعد البنيوية (دريدا و أنصار الحركة النسائية الفرنسية) تعد بمثابة نظرية في المعرفة واللغة ، تعتمد على منهج التفكيك Deconstruction في كيفية قراءة النصوص وكتابتها ، فان ما بعد الحداثة (فوكوه ، ليوتار ، بودريار) هي نظرية في المجتمع ، والثقافة ، والتاريخ (بن أيجر ، ٢٠٠٢ : ٤٢٧) .

وقد اختلف العلماء عما إذا كانت ما بعد الحداثة تشكل بالفعل مرحلة جديدة ، أم إنها مجرد مرحلة من مراحل الحداثة ، أو مرحلة من مراحل الرأسمالية . فهناك ادعاء قوى بأن البشرية تدخل الآن حقبة تاريخية جديدة ، بصرف النظر عن اختلافنا في تعريفها . فإذا كانت هناك ثلاث حقب – كما يرى دونال Mike O'Donnell – قديمة ووسطى وحديثة ، فيمكن القول أن مرحلة ما بعد الحداثة تقع في المرحلة الحديثة (دونال ، ٢٠٠٢ : ١٧٨) .

ويفضل جيدنز مصطلح " الحداثة المتأخرة " أو " الحداثة العليا " باعتبار أن ما بعد الحداثة هي مرحلة من مراحل الحداثة . ويقصد جيدنز بالحداثة المتأخرة ، إنها عصر يكون فيه المجتمع الحديث أكثر وعيا بتبعات الحداثة – خاصة تبعاتها السلبية – ويؤمن بأن المشروع الحديث لتحسين الأوضاع الإنسانية (أي التقدم) لا يزال إنجازه ممكنا (دونال ، ٢٠٠٢ : ١٢٤)

.

ويعتبر بومان Bauman أن ما بعد الحداثة هي مرحلة أيضا من مراحل الحداثة، حيث يشير إلى أن ما بعد الحداثة هي الحداثة بعد أن اتسمت بالتعددية وتكافؤ الأضداد ambivalence، وكذلك بعد أن أدركت أن النظام العقلاني ، والحقيقة المطلقة أشياء لا يمكن الوصول إليها ، أو الوثوق بها . وأن استخدامنا لمفهوم ما بعد الحداثة يعكس اعترافنا بأننا مازلنا مرتبطين بالحداثة (Cantell , Timo , 1999 ; 133) . كذلك يشير زيجمونت بوتمان ، إلى أن ما بعد الحداثة هي انعكاس للحداثة إلى درجة كبيرة ، وإنها – أي ما بعد الحداثة – تشترك مع الحداثة في خاصتين هما الرشد ، والانعكاسية النقدية . (زيجمونت بوتمان ، ٢٠٠٢ : ١٧٦) .

ويتفق سمير أمين مع العلماء السابقين فى اعتبار أن ما بعد الحداثة مرحلة من مراحل الحداثة ، حيث يرفض من البداية استخدام مفهوم ما بعد الحداثة ، و يرى أن الحداثة ارتدت ثيابا متنوعة ، وأشكالا متعددة ، متتالية ومتفاوتة ، متكاملة ومتعارضة . فهو يرى أن ما بعد الحداثة ما هي إلا شكلا ما من أشكال الحداثة ، يرمى إلى الكشف عن العلاقة القائمة بين تجليات الحداثة من جانب ، وطابع تحديات العالم الواقعي وانعكاساتها فى الوعي الاجتماعي من الجانب الآخر (سمير أمين ، ١٩٩٩ : ٤٦ - ٤٧) . أما من يرون أن الحداثة وما بعد الحداثة ما هي إلا مراحل مختلفة من الرأسمالية ، فيأتي في مقدمتهم جيمسون وهارفى. فهى بالنسبة لهما جانب من جوانب مجتمع الرأسمالية المتأخرة ، أو أنهما – الحداثة وما بعد الحداثة – ليسا سوى مرحلتين مختلفتين للرأسمالية ، والتحول من واحدة إلى الأخرى هو تحول من الرأسمالية إلى ما بعد الرأسمالية أو ما بعد الصناعية مع وجود قاعدة أساسية للرأسمالية ما زالت مطبقة حتى اليوم (Wood , Ellen , 1999 ; 21) . وكما يشير هارفى في موضع آخر - تأكيدا على أن ما بعد الحداثة هي مرحلة

من الرأسمالية - أن ما بعد الحداثة تعد امتدادا لعمليات اجتماعية حددها ماركس من قبل فى وصفه للمجتمع الرأسمالي (Andrew Edgar , 2002 ; 295) . ويؤكد الماركسيون على أن ما بعد الحداثة قد ارتبطت بمرحلة الرأسمالية التي تميزت بوفرة الإنتاج ، والسلع عالية الجودة ، وما ارتبط بهذا الشكل من أشكال الإنتاج من ظهور العمالة المرنة ، ورأس المال المتحرك. وقد ساعد على كل هذا ما تحقق من تقدم وتطور فى تكنولوجيا الاتصال والمعلومات (Wood , Ellen , 1999 ; 3) .

وعلى أية حال فمرحلة ما بعد الحداثة – كما يرى بومان – لا تزال قيد مرحلة التشكل ، فما زال الناس فرادى وجماعات بالنسبة لمن يؤمنون بقوة الفعل الانسانى ، يشكلون مجتمع ما بعد الحداثة ويغيرونه (بومان ، ٢٠٠٢ : ١٧٨) .

ومن المفاهيم الأخرى التي ارتبطت بمفهوم ما بعد الحداثة مفهوم الكونية أو العولمة Globalization. فما حدث من تطور رأس المال ، وظهور الشركات متعددة الجنسيات عابر ة القوميات ، وانبثاق النظام العالمي الجديد ، كانت كلها بمثابة مؤشرات تنبئ عن ميلاد عصر جديد يطلق عليه عصر الكونية أو ظرف ما بعد الحداثة . ويعرف جيد نز العولمة بأنها مجموعة معقدة من العمليات التي يحركها مزيج من التأثيرات السياسية والاقتصادية . (جيد نز ، ١٩٩٩ : ٦٧) ، فى حين يراها جرهام تومسون Graham Thompson إنها عمليات من الإنتاج والتسويق تتم بين المجتمعات المختلفة فى ضوء تطور تكنولوجي هائل ، ورأس مال متدفق (Graham Thompson, 1999 ; 136). ويحدد زافيش H . V. Savitch خصائصها فى إنها تتميز بتكنولوجيا جديدة، وتطور هائل فى تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ، فضلا عن نمو متزايد ، وتوحد عالمي ((H. V. Savitch, 2002; 180. وتشير الكونية وتيار ما بعد الحداثة ، إلى حدوث تحولات عميقة فى البنية المعاصرة ، كما تعكس الكونية تحولات الواقع ما بعد الحداثى المعاصر . فهي تشير إلى أبعاد جديدة التغيرات المعاصرة مثل ازدياد امتداد رأس المال عالميا ، وتزايد شبكة الاتصالات الكونية . وهكذا أدت هذه التغيرات إلى دمج العالم فى فضاء ثقافي واحد (ناهد سيف ، ١٩٩٩ : ١٣٢ : ١٤٠) .
ولذا فأنثروبولوجيا ما بعد الحداثة جاءت تطالب الأنثروبولوجيين بتقديم فهم جديد للثقافة، فى ضوء التحولات العالمية وعصر الكونية .

٢-أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة وقضايا التغير الاجتماعي

سنحاول في هذه الفقرة وبعد أن عرضنا لمفهوم ما بعد الحداثة والمفاهيم المرتبطة به ، أن نقدم رؤية أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة لقضايا التغير الاجتماعي ، في ضوء أفكارها ومقولاتها النظرية والمنهجية . محاولين أن نقف على مفهوم التغير الاجتماعي ، و عوامله ، و موضوعاته ، و أدوات دراسته ، كما يراها مفكرو هذا الاتجاه .

ا- مفهوم التغير الاجتماعي فى فكر أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة

عانى تعريف مفهوم التغير الاجتماعي منذ الاهتمام بدراسته في علم الاجتماع المعاصر ، مشكلات متعددة خاصة ، مع تداخل بعض المفاهيم ذات الصلة بمفهوم التغير الاجتماعي مثل مفهوم التقدم Progress ، مفهوم التطور Evolution ، و مفهوم النمو Growth ومفهوم التنمية

Development . وقد تنوعت تعريفات التغير الاجتماعي، اذ اهتمت بعضها بالتغيرات الهيكلية فى البناء الاجتماعي ، وركز بعضها الآخر على الوظائف التي تؤديها الأنساق، وهناك بعض التعريفات التي ركزت على مستويات التغير الاجتماعي (المجتمع ، الأنساق ، الأفراد) ، فى حين أولت بعض التعريفات أهمية خاصة لمظاهر التغير أو مجالاته (تغير تكنولوجي / اقتصادي / اجتماعي / ثقافي) . و يرى أحمد زايد ، أن ثمة عناصر مشتركة بين هذه التعريفات نستطيع من خلالها أن نعرف التغير الاجتماعي بأنه " يشير إلى كافة أشكال التحول الجزئية أو الكلية التي تطرأ على البناء الاجتماعي / الثقافي لمجتمع من المجتمعات ، تحدث عبر سلسلة متصلة من العمليات المستمرة عبر الزمن ، ويكون لها نتائج بعيدة المدى عبر المستويات المختلفة للبناء الاجتماعي" (أحمد زايد ، اعتماد علام ، ٢٠٠٠ : ٢١) .

وإذا كان المفهوم السابق يؤكد على أهمية البناء الاجتماعي والأنساق الاجتماعية فى فهم التغير الاجتماعي ، فإن أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة تشير إلى سقوط النسق ، وتتجاهل وجود النظام فى المجتمع وترى أن النظام الاجتماعي يكمن فى اللغة ، فاللغة تكمن داخل الواقع ، حيث تتجسد رؤية الحداثيين للنظام من خلال تحويل المجتمع إلى خطاب أو نص ، وهذا يعكس رغبتهم فى تكوين أساس لقوانين عالمية للسلوك . (ناهد سيف ، ١٩٩٩ : ١١٠) .

وترى أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة الواقع على أنه مفكك ومتعدد . فيصف بومان مجتمعات ما بعد الحداثة على إنها مجتمعات متدفقة ، سائلة ، متغيرة ، بعكس المجتمعات السابقة التي أشار إليها كانط وتونيز ، حيث كان المجتمع يتحكم فى اختيارات الأفراد ويتدخل فى تشكيل واقعهم (Cantell,Timo,1993;133) . وتنظر ما بعد الحداثة إلى العالم على أنه مفكك ، وغير محدد ، وترفض كل ما جاءت به النظريات الكبرى ، كما ترفض كل ما هو مطلق ومسلم به بالنسبة للمعرفة والعقل كثوابت فى الحياة اليومية (Wood,Ellen-Meiksims,1999:12) . فحركة ما بعد الحداثة كما يشير ليوتار ترفض التفسيرات الكبرى ، وتفضل التفسيرات الصغرى Mini Narratives التى تهتم بالممارسات الصغرى والأحداث المحلية ، أكثر من الاهتمام بالمفاهيم الواسعة أو المفاهيم الكونية Global Concepts " فالحقيقة فيما بعد الحداثة لم تعد حقيقة مؤكدة ، أو خارجية أو ملزمة ، وإنما باتت الحقيقة تتعدد بتعدد الرؤى الثقافية والتصورات الذاتية" (محمدالجوهري ، ٢٠٠٣ : ٩٤) . أو كما يشير جون بودريار Jean Baudrillard أنه فى مجتمع ما بعد الحداثة لم تعد هناك أشياء أصلية Originals ولكن توجد نسخ Copies أو ما أسماه واقع مزيف Simulacra . فالزيف أصبح هو الحقيقة الواقعة التى خلقت من زيف أيضا بعد أن أصبحت لا توجد أشياء أصـــــلية (Mary klages , 1997 : 5) .

ويشير كومب Coombe إلى أن أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة ترفض الثقافة المتصورة لمدة طويلة ، كأنها مبنى شامخ ، ينظم ويؤلف كل النتاج الثقافي طبقا لنظام رئيسي واحد . كما تدعو أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة إلى إعادة تعريف الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها ، وكذلك إعادة التفكير فى معاني هذه المصطلحات وعلاقتها بالممارسات اليومية ، كل ذلك فى إطار محلى يرتبط فى نقاط اتصال بالاقتصاد العالمي ككل .(Coombe, Rosemary, 1991: 9.). فالتغير الاجتماعي فيما بعد الحداثة لا يتم من خلال تحليلات نسقية ، ولكن من خلال أن الحياة الاجتماعية لا تخضع لأي نسق كما أن التغيرات الشمولية للحياة الاجتماعية مستحيلة ومضللة. كما تركز ما بعد الحداثة على أهمية التحليل الكوني وهذا يناقض فكرة تأثير الجزء على الكل فى التعريف السابق لمفهوم التغير الاجتماعي.

ب- عوامل التغير الاجتماعي فى فكر أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة

اهتمت دراسات التغير الاجتماعي ، بالبحث عن الأسباب والعوامل التي تؤدى إلى حدوث التغير الاجتماعي ، وأرجع البعض التغير الاجتماعي إلى عوامل خارجية (البيئة الفيزيقية ، العوامل الديموجرافية ، الاتصال الثقافي) ، فى حين أرجعه البعض إلى وجود عوامل داخلية (النظام السياسي ، الاكتشافات والاختراعات ، الأفراد) مع افتراض وجود تداخل بين هذه العوامل بعضها البعض (أحمد زايد ، عتماد علام ، ٢٠٠٠ : ٢٧) .

وقد جاءت أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة لتؤكد على دور الفرد فى حدوث عملية التغير الاجتماعي .حيث أولت الأفراد ، وتخيلاتهم ، وأفكارهم أهمية خاصة ، فضلا عن أنشطتهم وممارساتهم لفهم عملية التغير الاجتماعي . وتعيدنا أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة بتأكيدها على أهمية الأفراد فى فهم المجتمع وتشكيله ، إلى إسهامات ماكس فيبر فى هذا المجال حيث كانت نقطة انطلاقه هي تحليل الفرد . كذلك قامت النزعة التأويلية (الهرمينوطيقا) على مطالبة عالم الاجتماع من الانتقال من مرحلة الوصف إلى الفهم ، وضرورة أن يمر التأويل – كما أشار جيدنز- بمستويين ، الأول : هو التأويل الذي يقوم به الناس فى حياتهم الاجتماعية ، والذي يمكنهم من فهم بعضهم البعض ومن تأسيس حياة اجتماعية ، والثاني : هو التأويل الذي يقوم به من يحاول التنظير لهذا حيث يقوم بتأويل ما تم تأويله بالفعل (جيد نز ، ٢٠٠٢ : ١٠) .

كذلك اهتمت أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة بأنشطة وممارسات الأفراد ، باعتبار أن هذه الممارسات هي التي تشكل البنية التي يعيشون فيها . وقد قدم جيد نز إسهاما متميزا فى تفسير هذا القول . فقد زاوج بين كل من البناء والفعل فى فهم المجتمع وتفسير عوامل تغيره ، وركز على الممارسات الاجتماعية للأفراد ، التي يرى إنها تخلق الأبنية ، وتتخلق هي نفسها بفعل تلك الأبنية فى ذات الوقت . فالأبنية فى نظر جيد نز ليست شيئا خارجيا بالنسبة للفاعلين الاجتماعيين ، إنما هى قواعد وموارد يصيغها الفاعلون ويعيدون إنتاجها فى ثنايا ممارستهم الاجتماعية . (دونال ، ٢٠٠٢ : ٩٨) . ويشير مفهوم الممارسة Praxis – وهو من المفاهيم الأساسية لجيدنز فى نظريته تشكيل البنية Structuration Theory – إلى ضروب السلوك والتفاعل التي ينتجها الفاعلون الاجتماعيون ، وهو يكشف عن الطريقة التي تتشكل بها الحياة الاجتماعية أو الطريقة التي" يتبنين" بها المجتمع . فالممارسات تتسم بالدينامية ، وعدم الجمود ، كما إنها تتشكل ويعاد تشكيلها من خلال مجرى الأنشطة الروتينية العادية ، والفعل الإنساني قابل للتحول والتشكل يحكم طبيعته ، وبحكم الاختيار والمخالفة (احمد زايد ، ١٩٩٦ ؛ ٧٠ – ٧٥) فالأفراد وما يقومون به من ممارسات كانت محور اهتمام أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة فى بحثها عن عوامل ومسببات التغير الاجتماعي .

ج- موضوعات التغير الاجتماعي فى فكر أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة

جاءت موضوعات أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة ، بمثابة نقد لمنجزات الحداثة ، فلما كانت الحداثة تؤمن بالعقل والعلم باعتبارهما الوسيلتين اللتين تسعى بهما الكائنات الإنسانية إلى فهم العالم وتغييره ، جاءت ما بعد الحداثة كحركة رومانسية تؤكد على الجانب الذاتي والوجداني مقابل العلم والمنطق . كما تزايد اهتمام أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة بكل ما هو ثقافي مقابل ما هو مادي

، فالثقافة من وجهة نظر أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة أصبحت الجانب المهيمن على الحياة الاجتماعية نتيجة لتقدم تكنولوجيا الاتصال كما أن سيادة الثقافة والاتصال تتحقق فى سياق كوني وتتأثر به تأثرا عميقا (دونال ، ٢٠٠٢ ، ١٢٦) . وبعبارة أخرى تعد أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة مدخلا لدراسة الظواهر الثقافية ، من خلال النظر إليها بطرق جديدة فى ضوء الطبيعة المتغيرة للعالم الذي نعيش فيه (Coombe , Rosemary , 1991:10) .

كذلك جاءت التغيرات الكونية لتكون محورا لاهتمام أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة، فلم تعد الدولة القومية هي حدود المجتمع ، ولم تعد السياسة والحكومة والدولة هم أساس إحداث التقدم الاجتماعي – كما ظهر ذلك فى الفكر الحداثى – بل أصبحت التغيرات الكونية التي عملت على اختزال المكان وضغط الزمان هي أساس إحداث التغير والتقدم الاجتماعي . وعن تأثير الكونية يشير هارفى إلى أن التغيرات التي أفرزتها الكونية فيما يتعلق بضغط الزمان والمكان ، وسرعة الإيقاع - وهو ما ساعد على ذلك ظهور أشكال جديدة لتكنولوجيا الاتصال –وسائل جديدة للإنتاج والتسويق ونماذج جديدة للاستهلاك ، وتبع ذلك كله ثقافة عقلية جديدة اتسمت بها ما بعد الحداثة (Wood , Ellen , 1999 ; 3) . ويشير دانيال بيل Daniel Bell إلى خاصيتين آخرتين لما بعد الحداثة هما ما أطلق على أحدهما اختزال المسافة eclipse of Distance، والثانية الثورة ضد النظام rage against order (Scot Lash 1990,125)

فالتغيرات الكونية وظهور الشركات متعددة القوميات ، لم تترك مجالا لدور الدولة القومية، فقد تصدعت الدولة القومية بفعل العولمة وكما يشير جيدنز بأن العولمة تشدنا بعيدا عن الدولة القومية (جيد نز ، ١٩٩٩: ٦٥) كما شبه نيكولاس الدولة القومية فى عصر العولمة بكرة انتقالية التي تتحول من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة ، فهو يتوقع أن تتبخر الدولة القومية فى عصر العولمة (جون جيري ، ٢٠٠٠ ، ١٩٧) . فالعولمة بمفهومها الثقافي تشير إلى انتقال تركيز واهتمام الأنساق من المحلية إلى العالمية ، بمعنى أن بروز الوعي بعالمية العالم ووحدة البشرية وبروز مفهومات جديدة للهوية والمواطنة العالمية التي قد حل محل المفهومات المحلية لها (أحمد زايد ، اعتماد علام ، ٢٠٠٠ : ٢٧٢).

ومن الموضوعات الأخرى التي أثارت اهتمام أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة وتعد نقدا أيضا لمنجزات الحداثة موضوعات البيئة ، حيث كشفت ما بعد الحداثة عن أن هناك ثمة مخاطر أدت بالتضحية بالإنسان لحساب طرق التقنية . فقد أدى مبدأ الحداثة القائل بسيطرة الإنسان على الطبيعة وتواجدنا للسيطرة عليها ، إلى إحداث تخريب بيئي نشهده باستمرار ، فزاد التلوث زيادة كبيرة (ناهد سيف ، ١٩٩٩ : ٤٢) . وهذا ما حدا بأنثروبولوجيا ما بعد الحداثة الى أن تولى اهتماما بالآثار المدمرة للعالم التطبيقي والبيئة الإنسانية ، مع تزايد إحساسهم القوى بالمسئولية تجاه الطبيعة والبيئة (دونال ، ٢٠٠٢ : ١٢٦)

مما سبق يتضح أن قضايا أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة أكدت على كل ما هو ثقافي وذاتي ووجداني ، مقابل ما هو مادي وعقلي ومنطقي ، كذلك أولت اهتماما بالتغيرات الكونية ، والموضوعات الإنسانية خاصة قضايا البيئة وهى تعطى اهتماما بالجزئيات عن الأنساق ، كما أنها اكثر بحثا عن الفهم أكثر من البحث عن التعميم .

وقد أفرزت هذه الاهتمامات والقضايا الجديدة فى أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة ، وسائل منهجية جديدة ، تلائم دراسة هذه القضايا وهذا ما سنشير إليه فى الفقرة التالية .

د- الأبعاد المنهجية لقضايا ما بعد الحداثة

أدى اهتمام أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة بالذاتي والوجداني ، إلى جعلها تتبنى مناهج كيفية، ومن ثم أصبحت بيانات السيرة الذاتية لكل من المبحوثين والباحث ذات أهمية بالنسبة لتفاعل المعاني والتفسيرات . كذلك تصاعد الاهتمام بالحياة اليومية للأفراد لفهم واقعهم الاجتماعي .

تتطلب السير الذاتية من المبحوثين تدوين يومياتهم الشخصية ، وأحيانا يطلب منهم تدوين تاريخ حياتهم . كما فعلت لوبتون فى عام ١٩٩٤ فى دراستها لما أسمته " بالذاكرة الغذائية بالطفولة " حيث طلبت من تلاميذها بالدراسات العليا أن يكتبوا عما تحمله ذاكرتهم فيما يتعلق بالغذاء (Gill Valentine, 1999:491) . كذلك فعل يونج وويلموت فى مسح لهما عن الأسرة ، كما فعل ذلك أيضا جون جولد ثورب وزملاؤه فى مسح لهم عن الحراك الاجتماعي . وتفيد بيانات السيرة الذاتية فى مراجعة البيانات الإحصائية وتقديم وجهة نظر أخرى فيها . كذلك يرى البعض أنه من المفيد فى الأبحاث الأنثروبولوجية أن يدمج الباحث خبرته الشخصية أيضا فى البحث السوسيولوجى ، مما قد يحقق بعض الفائدة كالتعرف على شخصية الباحث . ولكن هناك بعض الأخطاء التي قد تنجم عن ذلك – دمج الخبرة الشخصية للباحث بالبحث – ألا وهى عدم حيادية الباحث أو تحيزه مما يعمل على فقدان أهمية البحث ، هذا إلى جانب أن هذا الدمج من الممكن أن يظهر البحث مجرد حكاية مبتذلة وبذلك يفقد أهميته العامة (دونال ، ٢٠٠٢ : ١١٠ – ١١١) .

وقد ركز أنثروبولوجي ما بعد الحداثة أيضا على دراسة الحياة اليومية Everyday life للأفراد ، ويعد مفهوم الحياة اليومية من الموضوعات الهامة فى دراسات ما بعد الحداثة . خاصة فيما يتعلق بدراسة قضايا التغير الاجتماعي الثقافي . حيث أن الحياة اليومية أو الوجود الذي لا تحده حدود نظامية للإنسان ، تتأثر إلى حد كبير بالتغيرات الاجتماعية والثقافية التي تجتاح المجتمعات حيث تتحول الحياة اليومية أو يتحول هذا الوجود من حياة عقلانية رشيدة إلى جوانب لاعقلانية . ويعنى ديفيد شينى بمفهوم الحياة اليومية " أشكال الحياة التي نعتبرها أمرا رتيبا وروتينيا غير ملحوظ ، ونتقبلها كأمر مفروغ منه . وتتسم هذه الحياة بالاعتيادية Every day ، والاعتيادية تعطى لحياتنا النظام والاستقرار ، كما إنها تتسم بأنها طبيعية ، غير متكلفة ، أو ساذجة (David Chaney , 2002 ; 10-12) . وقد اهتمت دراسات الحياة اليومية بالتركيز على الخبرات الشخصية للأفراد ، وذلك فى سياق وحدة المعيشة . واهتمت كذلك بالمعاني التي يخلعها الأفراد على الثقافة المادية Material Culture ، وربط هذه الثقافة بالخبرات الشخصية للأفراد .

كذلك اهتمت دراسات الحياة اليومية بتصوير الذات Dramatizing the self ومن أهم الموضوعات فى هذا السياق ديموقراطية (مقرطة) الموضة ، Democratization of Fashion ، الذات والآخرون ، النظام فى مقابل مذهب المتعة Hedonism، وهو مذهب يقول بأن اللذة والسعادة هي الخير الأوحد والرئيسي فى الحياة. (Ibid , 2002 , 77) ، كما تناولت هذه الدراسات مناقشة السلطة والخبرة فى الخطاب العام Public Discourse ، الأشكال المتغيرة للسلطة ، سلطة الثقافة الجماهيرية ، وسلطة الأبطال والنجوم(الكاريزما) (bid , 2002 , 99) .

كما اهتمت كذلك بالكشف عن المواطنة Citizenship فى وجود الديموقراطية الراديكالية من خلال موضوعات عن المواطنة الثقافية ، والسياسات فى الثقافة المفككة Fragmented . و ركزت دراسات الحياة اليومية فى جانب منها على أوجه الجمال أو المتعة فى الحياة اليومية ، فتبحث عن كل ما هو فوق العادة (التقاليع) Extraordinary ، واغراءات الممنوع ، ودور العاطفة فى الحياة اليومية (Ibid , 2002 , 139) .

ويتساءل ديفيد شيني David Chaney عن السبب فى أن دراسة الحياة اليومية أصبحت أكثر مغزى وأهمية فى تفسير التغير . ويقول أن فهم ذلك يأتى من خلال ما يخص عمليتين أطلق على أحدهما النمط الراديكالي ، وأطلق على الأخرى التشظى الثقافي Cultural Fragmentation . يستخدم الراديكالي فى العلاقة بالديموقراطية ليدلل على كيفية أن أشكال وصور المبادئ الشعبية أصبحت مهيمنة فى الخطاب العام ، ولم يستلزم هذا أي تحرر شعبي مادي . أما التشظى الثقافي فلم يقصد به أن الثقافة قد أصبحت أقل أهمية بل على العكس ، وهو أن سلطة الثقافة قد زاد تبددها dissipated وعدم الثقة فيها discredited (Ibid, 2002: 6)

وتعطى دراسات الحياة اليومية أهمية للمعاني الضمنية للإبداع الشعبي ، وان كان الإبداع شيئا مزعجا بالنسبة للاتجاهات التي تتميز بالعقلانية Rationality والتي تسعى إلى وجود نظام متماسك . وقد ظهر اهتمام الماركسيين بإشكالية الحياة اليومية فى عصر الحداثة بسبب دراستهم للتغير الاجتماعي ، ولكنهم لم يهتموا بتفاصيل الممارسات اليومية . وثمة بعض النقاط التي يجب على القائم بدراسة الممارسات اليومية لفهم التغير الثقافي أن يأخذها فى الاعتبار كما أوضحها دى كارتيو Decerteau وهى :

الأولى : أن يفرق القائم بالدراسة بين سمتين من سمات الأفعال الاجتماعية ، وهما الاستراتيجيات والتكتيك . وكلاهما واضحتين من خلال المنظور العقلي فالأفعال التكتيكية Tactical actions قصيرة المدى ، وتأتى مصادفة أو حسب الموقف – وتعد الأفعال التكتيكية كما أشار دى كارتيو سمة مميزة للحياة اليومية . وهذه الصدفة غير المعرفة تضفي على الحياة اليومية الغموض الذي ينتزع المنطق الخاص بالعقلانية المساعدة .

النقطة الثانية التي يجب الاهتمام بها هي أن الحياة اليومية تحتوى على تأثير غير مرئي بالنسبة للنظرة التحليلية ، لأن الحياة اليومية تعتبر خلفية هامشية مسلما بها لأكثر الأحداث أهمية (وهو ما يسميه العالم ديبور Debor بالأنشطة المميزة) ، ولكي تصبح الحياة اليومية هي القضية الأساسية فهذا يتطلب تغير المفهوم والرؤية أيضا كما أشار العالم ما فيسلو Mafesoli وتقودنا هذه النقطة إلى النقطة الثالثة وهى أن دراسة الحياة اليومية تتطلب أن نلاحظ ونراقب الحياة اليومية . فطبيعة الموضوع الذي يدرس بواسطة علم اجتماع الحياة اليومية ، يفرض علينا أن ندخل فى العلاقة لمعرفة ماذا يعرف الأفراد وما هو نصيبهم من المعرفة بالعالم الاجتماعي (Ibid , 2002 : 49) . و نقدم فى الجزء التالى عرضا تفصيليا لبعض القضايا المختارة من جملة قضايا التغير الاجتماعى التى اهتم بها الفكر الاجتماعى فيما بعد الحداثه .

ثالثا : نماذج امبريقية لقضايا ما بعد حداثية

لاقت العديد من القضايا التي أثارتها أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة ، اهتماما علميا واسعا فى الفترة الحالية ، وقد حاولت الباحثة أن تلقى الضوء على نماذج من هذه القضايا التى شغلت الحوار العالمى كشواهد على ما طرحته ما بعد الحداثة من أفكار حول التأكيد على الفرد وحقوقه الإنسانية وكذلك اهتمامها بكل ما هو ثقافى ووجدانى. ومن أمثلة هذه القضايا : قضايا الصحة البيئة ، المرأة والنوع الاجتماعى، الهوية القومية والمواطنة ، و قضايا الثقافة الاستهلاكية . وسوف نعرض لهذه القضايا فى الفقرات التالية على التوالى .

١- قضايا البيئة والصحة : Environment & Health Issues

مثل موضوع البيئة أهمية خاصة فى أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة . و هو موضوع لم يكن مطروحا بقوة كما هو مطروح الآن ، ذلك لأن الاعتداء على البيئة ومحاولة إفسادها ، بل وتدميرها لم يكن قد بلغ هذا المبلغ الذي بلغه فى أواخر القرن الماضي وأوائل القرن إلحادي والعشرين . فقد أصبحت البيئة عنصرا من عناصر التنمية المتواصلة والمستدامة ، وهى قضية الإنسان الملحة عالميا الآن (فاروق العادلى ، ٢٠٠٣ ، ص١٧١) . و ظهر رعب من تلوث البيئة ، واهدار الموارد ، وتدمير حياة البشر ممن يسكنون الكوكب الأرضي . ولذا فقد كان أهم ما خرج به مؤتمر " قمة الأرض " الذي عقد فى ريو دى جانيرو عام ١٩٩٢ هو إيجاد أرضية مشتركة يمكن أن يتحقق من خلالها تفاهم بين الشمال والجنوب ، حول مستقبل البيئة والتنمية (يحيى أبو بكر ، ١٩٩٢ ، ١٢) .

وقد تنوعت الدراسات التي تناولت قضايا البيئة ، فركز بعضها على مصادر التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان ، وركز بعضها الآخر على دراسة بعض أمراض العصر التي أصبحت تهدد حياة الإنسان. فى حين تناولت دراسات أخرى حياة بعض الجماعات التى تعيش فى بيئات ومناطق عشوائية مهمشة ، حيث تعرض لظروف نشأة هذه المناطق وخصائص سكانها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. ويبدو من هذه الدراسات أنها أولت اهتماما بالفرد وحقوقه الإنسانية ، وتلك أحد الاهتمامات الأساسية لفكر ما بعد الحداثة .

ومن أمثلة النوع الأول من الدراسات ، دراسة هوبكنز التي حاول فيها أن يقف على أشكال التلوث فى المنظومة البيئية الريفية ، وكيفية الاستجابة الاجتماعية من قبل الأفراد والمجتمع لمواجهة هذه المشكلة . وقد أجريت الدراسة على قريتين مصريتين ، ولاحظ الباحث أن اهتمام الناس بالموضوعات والمشكلات البيئية جاء منصبا على مشكلة إلقاء النفايات ، وتلوث الهواء والماء ، ولم يكن هناك اهتمام بمشكلة الضوضاء . وقد ألقى الناس اللوم على بعضهم البعض فى ظهور هذه المشكلات . وأعربوا عن عدم مقدرتهم على التعامل معها ، وان كانت الدراسة أظهرت أن هناك أشكالا من التنظيم الاجتماعي تتم داخل القرية لمواجهة هذه المشاكل ، مثال ذلك تعاون الجيران لاستئجار شخص يتولى جمع القمامة ، كذلك اشتراكهم فى التمويل لتصميم نظام جديد

للصرف الصحي ، أو لبناء مدرسة أو أي خدمات مشابهة (نيكولاس س . هوبكنز ، ٢٠٠٣ : ٢٩١) .

ومن الدراسات التي تناولت مظهرا آخر من مظاهر التلوث وتأثيره على حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية ، دراسة عايدة فؤاد عن الهدر البيئي والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي فى منطقة بحيرة قارون بمحافظة الفيوم . حيث أكدت الدراسة المورفولوجية للمنطقة على تلوث البحيرة نتيجة الصرف الصحي و الزراعي الذي يلقى بمخلفاته فى البحيرة ، مما عمل على تدهور إنتاج البحيرة من الثروة السمكية ، وكذلك تدهور الإنتاج بالأراضي الزراعية الخاصة بالمنطقة مما كان له آثار سيئة على الحالة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المنطقة (عايدة فؤاد ، ١٩٩٨ : ٢٣١) .

وقد أجرى فريق آخر من الباحثات دراسات امبريقية على نفس المنطقة وكشفت إحداها عن التلوث الذى نتج عنه انتقال بعض الأمراض من أسماك البحيرة الملوثة إلى سكان المنطقة مما أدى إلى أصابتهم بالأمراض (سعاد عثمان ، ١٩٩٨ : ٣٦٣) . كذلك كشفت دراسة أخرى عن مدى انتشار أمراض سوء التغذية فى بعض القرى المحيطة بالبحيرة نتيجة الفقر ، وتدنى مستوى المعيشة الذي ارتفع نتيجة نضوب البحيرة وانخفاض إنتاجها الزراعي (منى الفرنوانى ، ١٩٩٨ : ٣٩٩) . كذلك أشارت دراسة فاتن الحناوى فى نفس المنطقة عن تدهور الحالة الاقتصادية للصيادين ، مما أدى إلى انتشار مشكلات كثيرة كالبطالة والانحراف وغيرها (فاتن الحناوى ، ١٩٩٨ : ٢٧٨) .

ومن الدراسات التي اهتمت بالكشف عن العلاقة بين البيئة الاجتماعية والثقافية وانتشار بعض الأمراض دراسة ثروت اسحق بعنوان " الخريطة الاجتماعية للصحة والمرض ". وقد أشار الباحث إلى أن هناك أبعاد اجتماعية و ثقافية متصلة بالصحة والمرض لدى شرائح اجتماعية معينة فى مناطق بعينها . حيث أشار من خلال خريطة توضح انتشار مرض السرطان، الى أن هذا المرض ينتشر بنسبة كبيرة بين السيدات خاصة المقيمات فى لندن ، وميز بين أنواع السرطان والبيئات المنتشر بها . فقد ظهرت نسبة كبيرة من المصابين بسرطان الكبد فى موزمبيق، فى حين أن سرطان الرئة كان أكثر انتشارا فى الغرب ، وسرطان المثانة كان اكثر انتشارا فى مصر واليابان . كذلك تبين أن هناك علاقة بين بعض الأمراض والأبعاد الاجتماعية والثقافية ، كانتشار سرطان الثدي بين النساء الأثرياء . وقد أشار الباحث إلى أن البيئات الفقيرة تعد بؤرة مناسبة لنمو العديد من الأمراض التي تصيب الصغار والكبار ، الإناث والذكور على حد سواء نتيجة الضغط الشديد على المسكن والخدمات (ثروت اسحق ، ٢٠٠١ : ١٦٩) .

وثمة دراسات أخرى اهتمت بدراسة بعض الأمراض التي أصبحت تمثل خطرا يهدد حياة الإنسان ، وقد ارتبط ظهور بعضها بعصر ما بعد الحداثة حتى أطلق عليها البعض " أمراض ما بعد الحداثة ". ومن هذه الأمراض التي يوليها العالم اهتماما الآن مرض الإيدز . هذا المرض الفتاك الذي أصبح يهدد العالم ، وأصبح العالم يقف مكتوف الأيدي فى مواجهته . وقد صاغ جون أو نيل دراسة له بعنوان " الإيدز : ذلك الرعب العالمي " يشير فيه إلى مرض الإيدز باعتباره رعبا من النوع السياسي ، والاقتصادي ، والمالي ، والطبيعي . وأوضح أن ردود أفعال العالم تجاه هذا المرض ردود متباينة ، فهي تتراوح ما بين الهجوم ، والتعاطف وأحيانا العنف . ويرى أو نيل أن هموم الإيدز جعلت القومية والمحلية توضع فى سياق الاقتصاد السياسي العالمي . ونظرا لعدم

وجود أي مصل حتى الآن لمواجهة هذا المرض ، فانه يهدد بتقويض دعائم نسق الحريات المدنية فى المجتمعات الرأسمالية العالمية . كما أن الرعب من الإيدز يدفع الناس فى المجتمع العقلاني ، للشك فى قيمة المعرفة العلمية ، والمطالبة باليقين المطلق أو التوفير الفوري للمصل الواقي (جون أو نيل ، ٢٠٠٠ : ٣١٩) .

وفى دراسة لعلى ليلة يتناول فيها " مساهمة العلوم الاجتماعية فى مجال الوقاية والرعاية لمرض فيروس العوز المناعي الإيدز " . يحاول أن يكشف فيها عن خصوصية هذا المرض بالمقارنة بأمراض أخرى . حيث أنه يشكل إلى جانب كونه مرضا بيولوجيا ، وصمة أخلاقية. ويتناول كذلك كيف يواجه حامل المرض رفضا من المجتمع وحتىأقرب الأقربين . ويشير إلى انتشار المرض بين النساء أكثر من الرجال لاشتغالهن بالدعارة . كما أن هناك تقاعسا من الدول فى مواجهة هذا المرض ، وهناك محاولات لإخفائه لظروف سياسية . ويرى الباحث أن هذا المرض هو من تبعات عصر العولمة . حيث بدأت ثقافات عالمية قوية لا تتلاءم مع أوضاعنا وقيمنا ، تسعى إلى تدمير بقايا ثقافتنا المحلية والقومية ، مستغلة انسحاب الدولة من بعض المناشط وعجزها عن مواجهة آليات ثقافة العولمة كالفضائيات وتكنولوجيا الاتصال ، التي عملت على نشر الأفكار التي تتولى تأجيج جذوة الجنس ، مما سبب هذا المرض (على ليلة ، ٢٠٠١ : ١٤٣) .

وتشير دراسة عن الإيدز فى أفريقيا ، الى أن فيروس HIV (الإيدز) ، قد أصبح مرضا وبائيا . حيث بلغت أعلى معدلاته بين الشباب لتصل إلى ٢٥% . كما تبين أن هذا المرض أكثر انتشار فى الفئة العمرية من ١٥ : ٤٥ سنة . وقد نجم عن ارتفاع عدد المصابين ، زيادة فى نسبة عدد المتوفيين بسبب المرض ، ومعظمهم كانوا من الفئات النشطة إنتاجيا ، مما كان لذلك أثره على الأنشطة الإنتاجية الاقتصادية بالمجتمع (Lau rent and Huard ,1999 , 363).

وفى دراسة أخرى لآن سكوت ، تشير فيها إلى أن منظمة الصحة العالمية ، قد أعلنت عام ١٩٩٨ عن أن هناك ٣٠ مليون شخص على مستوى العالم يعانون من فيروس HIV ، وأن هناك ١٢ مليون قد ماتوا بالفعل بسبب هذا المرض . وأكدت على انتشار هذا المرض بصورة سريعة داخل كثير من الأقطار ، حتى أصبح وباءا تعانى منه معظم المجتمعات . وبالنسبة لآسيا، كان هذا الوباء أكثر انتشارا فى المنطقة الشمالية، وبالأخص فى الهند فى المناطق الريفية منها والحضرية. وتشير الباحثة إلى أن هذا المرض قد أصبح وباءا كونيا . ويرجع سبب انتشار هذا الوباء فى آسيا إلى انتقال الكثيرين عبر الحدود ، هذا فضلا عن ضعف قوة الحكومة وضعف القيم ، وزيادة التحضر وكلها عوامل ساعدت على انتشار المرض . ولمواجهة هذا المرض يجب أن تتكاتف كل الجماعات وتعمل معا من أجل مواجهة هذا الخطر (Ann Scott , 1999 : 377).

وتركز دراسة أخرى عن " النساء ومرض الإيدز فى أفريقيا " على ضرورة التعرف على الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي تعمل على انتشار هذا المرض بين النساء فى أفريقيا . حيث أشارت الدراسة إلى أن هناك ٦٠٠،٠٠٠ طفل يعانون من مرض الإيدز الذي انتقل إليهم عن طريق أمهاتهم قبل ولادتهم أو أثناء فترة الرضاعة . ولما كانت المرأة الأفريقية اكثر إنجابا للأطفال مقارنة بمثيلاتها من النساء فى المجتمعات الأخرى ، فقد عمل ذلك على انتقال الفيروس إلى العدد الأكبر من الأطفال . وقد انتشر هذا المرض بين النساء بشكل كبير نتيجة العلاقات الجنسية . وترى الباحثة أنه لكي يمكن مواجهة هذا المرض ، فمن الضروري دراسة الممارسات الاجتماعية التي تساعد على التعرف على أسباب هذا المرض وأشكال تطوره . ومن هذه الممارسات التعرف على أنماط الزواج (أبوي – أمومى) ، كذلك أشكال الزواج (جماعي ،

الزواج من أرملة الأخ) وكلها أشكال يمكن أن تساعد على نقل المرض محليا(Agathe later, 1999 , 392) .

ومن الموضوعات التي تثار فى مجال البيئة تلك التى تهتم بالبحث عن أوضاع بعض الجماعات التى تعيش فى مناطق عشوائية وخصائصهم . ومن هذه الدراسات دراسة فاروق العادلى عن " الفقر وثقافته والخصائص المجتمعية لسكان العشوائيات " ، حيث ربط بين الفقر كعامل أساسي وظهور مشكلة الإسكان العشوائي . وقد أكد الباحث على أن المناطق العشوائية تعتبر اليوم من أهم موضوعات الخطاب السياسي ، لما تحويه هذه المناطق من فئات منحرفة أحيانا أو متطرفة . وقد تعرض لأنماط الإسكان العشوائي (كسكنى المقابر ، ومناطق جامعي القمامة) وكذلك أحياء واضعي اليد . كما تناول السمات الايكولوجية ، والعمرانية لسكان العشوائيات وكذلك خصائصهم السكانية وسماتهم الاقتصادية التي كان أهم ما يميزها هو انخفاض مستوى الدخل وتدنى الخدمات (فاروق العادلى ، ٢٠٠١ ، ٢٩٣) .

وفى دراسة أخرى لضحى المغازى عن " سكان المناطق العشوائية بين ثقافة الفقر واستراتيجيات البقاء " تعرضت أيضا لأنماط المناطق العشوائية وخصائص سكانها وسوء الخدمات التي تعانى منها هذه المناطق . وقد أوضحت الباحثة أن هناك استراتيجيات للبقاء داخل هذه المناطق تساعد سكان هذه المناطق على مواجهتهم للمشكلات التي يعانون منها ، ومن هذه الاستراتيجيات استخدام القيم بطريقة مرنة لتساعدهم على التكيف مع حالة الفقر ، البقاء داخل وحدة المعيشة والعمل بشكل جماعي ، السعي للإنجاز وتحقيق مزيد من الآمال (ضحى المغازى ، ١٩٩٥) .

ولعل معظم الدراسات التي تم تناولها ضمن قضايا البيئة والصحة ، جاءت تؤكد اهتمامها على الآثار المدمرة للبيئة وتأثيرها على صحة الإنسان ومحاولات الإنسان المستمرة لمواجهتها والتكيف معها وهى قضايا تشغل الحوار العالمي ، وطرحتها أفكار ما بعد الحداثة .

٢- قضايا المرأة والنوع الاجتماعى : Women and Gender Issues

أثارت أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة ، ثائرة الكثيرين ومنهم النسويين الذين رأوا فيها لعبة ذكورية تثير الغضب ، والقلق والمقاومة . فقد اتجه فريق من الأنثروبولوجيين – الرجال خاصة – فى فترة الثمانينيات إلى إعادة تقديم بعض الدراسات الاثنوجرافية ، وقاموا بتحليل طرق الحياة والعوالم الثقافية للبشر الآخرين ، بمعنى تحليل نصوص اثنوجرافية مرتبطة بحياة سكان العالم الثالث كجزء من عملية الاستعمار والاستعمار الحديث . وهم أثناء ذلك لم يتجاهلوا النصوص الخاصة بحياة المرأة على اتساع العالم وان اهتموا بتفسيرها من وجهة نظر ذكورية ، لا تعكس واقع المرأة . مما دفع بعض النسويات إلى طرح إمكانية وجود اثنوجرافيا نسوية ترسم الخطوط بين الأنثروبولوجيا النسوية وما بعد الحداثة (سعاد عثمان ، ٢٠٠١) .

وقد لاقت قضايا المرأة اهتماما عالميا ، و انعكس هذا الاهتمام من خلال الخطاب الدولى المعنى بقضايا المرأة تجلى فى حركة المؤتمرات الدولية المعنية بالمرأة (مؤتمر المكسيك ١٩٧٥ ، مؤتمر نيروبى ١٩٨٥ ، مؤتمر بكين ١٩٩٥) وأيضا من خلال المؤتمرات التى نوقشت قضايا المرأة على هامشها ، كمؤتمر فيينا لحقوق الإنسان ١٩٩٣ ، ومؤتمر السكان

والتنمية الذى عقد فى مصر عام ١٩٩٤ . وأيضا من خلال الأعمال الاكاديمية التى قدمها الباحثون النسويون (سامية قدرى ونيس ، ١٩٩٧ : ٦٨)

ومن خلال مسح سريع أجرته الباحثة عن الدراسات التي أجريت عن المرأة والنوع فى الفترة من ١٩٧٥ حتى عام ١٩٩٩ ، تبين أن الدراسات التي أجريت عن هذا الموضوع قد بلغ عددها خلال الفترة من ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩ ، أربعا وعشرين دراسة . فى حين بلغ عدد دراسات المرأة فى سنة ١٩٩٩ وحدها ثمانية وسبعين دراسة (*) وقد جاءت هذه النتائج متفقة مع الدراسة الاستطلاعية التى أجراها محمود عبد الرشيد حول علم الاجتماع ودراسات المرأة ، حيث لاحظ زيادة واضحة فى نسبة الأعمال المكتوبة عن المرأة فى الفترة من ١٩٩٠ – لأقل من ١٩٩٥ ، هذا فضلا عن ملاحظته أن قضية النشاط الاقتصادى وعمل المرأة قد استحوذت على اهتمام خمس الأعمال تقريبا بالمقارنة بالاهتمام بتعليمها ، وحريتها ، وحقوقها ، ومشاركتها السياسية بل وأكثر من الانشغال بالأمومة وتنشئة الأبناء . وقد جاء فى المرتبة الثانية وبفارق كبير قضية المرأة والتنمية على الرغم من حداثة التنمية كمفهوم وكعملية فى المجتمع (محمود عبد الرشيد ، ٢٠٠٢ : ٣٩) . وعلى الرغم من أن دراسات المرأة فى علم الاجتماع كما يذهب جيدنز لا تعد مرادفة لدراسة النوع الاجتماعى ، لأن النوع الاجتماعى يتعلق بالعلاقات بين هويات الرجال والنساء وسلوكهم (أنتونى جيدنز ، ٢٠٠٢ : ٤٠٧) . فانه من النادر أن نجد قضايا النوع الاجتماعى Gender تأخذ مكانة محورية فى كتابات الكثيرين ، وتعد الكتابة فى أى قضية من قضايا المرأة ، مؤشرا عاما على التوجه نحو قضية النوع .

وقد حاولت الباحثة فى هذه القضية أن تركز على القضايا التى تمس هوية المرأة ووجدانها وثقافتها . ومن الدراسات التى سنعرض لها دراسات تركز على جسد المرأة ، وأخرى تدور حول النوع والهوية ، وثالثة تتناول المرأة والعولمة ، ورابعة تركز على نوع الجنس والمواطنة .

فمن الدراسات التي تناولت جسد المرأة نجد بعضها استهدف تجسيد معاني اجتماعية وقيم أخلاقية ، وبعضها الآخر تناولها من خلال عرض الصور السلبية التي يقدم بها مفهوم جسد المرأة. فمن الدراسات التي تناولت جسد المرأة كتجسيد لمعان اجتماعية ، وقيم أخلاقية دراسة آمال عبد الحميد عن " القيم الأخلاقية للمرأة " حيث عرضت فيه لمفهوم العفة كقيمة لها جانبين، الأول هو التزام المرأة بمجموعة من قواعد وآداب السلوك التي من خلالها تحافظ على القيمة ، والجانب الثاني ويرتبط بجانب فيزيقي يتمثل فى ضبط النفس عن الشهوات حتى تظل المرأة عذراء إلى أن تتزوج ، وان تزوجت فعليها الاستمرار فى صون عرضها . وتعرضت الدراسة إلى كيفية بث هذه القيمة وتأكيدها من خلال الأسرة عبر دورة حياة المرأة ، كذلك أشارت الدراسة إلى التهديدات الواقعة على المرأة للحفاظ على هذه القيمة (آمال عبد الحميد ، ١٩٩٨ : ٢٥٩) .

ومن الدراسات الأخرى التي تناولت جسد المرأة من منظور أخلاقي ، دراسة سعاد عثمان حول " ختان الإناث " التي أكدت فيها على حرص الأسر المصرية على هذه العادة ، على الرغم من الأضرار الصحية والنفسية التي تتعرض لها الإناث نتيجة لها ، وكيف أن الثقافة المصرية تؤكد على هذه العادة لما يرتبط بها من مفهوم الطهارة ، بالنسبة للبنت ، فضلا عن دورها فى كبح الشهوة الجنسية بالنسبة للأنثى ، وفى ذلك تأكيد مرة أخرى على قيمة العفة والشرف التي يجب أن تتحلى بها الأنثى (سعاد عثمان ، ١٩٩٨ : ٢٩٣) . وان كانت هناك بعض الدراسات التي تناولت

---

*اعتمدت الباحثة في هذا المسح على الملخصات السوسيولوجية التي نشرها مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب ، جامعة القاهرة تحت إشراف ا.د. احمد زايد ، ا.د. محمد الجوهرى .

موضوع الختان كأحد مظاهر العنف ضد المرأة ، وقد أثير هذا الموضوع بكثرة فى كثير من المؤتمرات والندوات التي تخص المرأة .

أما عن الدراسات التي مثلت لجسد المرأة تمثيلا سلبيا، نجد دراسة فيونا كارسون بعنوان " النسوية والجسد " وتتناول فيها بعض الأمثلة التي تظهر المرأة فى صورة مهينة كرسم المرأة وهى عارية ، وإظهارها فى وسائل الإعلام بصورة تجعل الرجل دائم التحديق لها وتثير غرائزه . كذلك تصوير وسائل الإعلام لجسد المرأة أحيانا بشكل مثالي كتركيزها على تقديم النساء اللائى يتميزن بالنحافة الشديدة ، ويدعم هذا الشكل – المثالي لجسد المرأة – صناعات التجميل ، وبيوت الأزياء المبهرة التي تروج بضاعتها لنماذج من جمال المرأة. (فيونا كارسون ، ٢٠٠٢ : ١٧٧) وتؤكد على هذه الصورة أيضا دراسة لفاطمة القليني عن " صورة المرأة فى إعلانات التليفزيون المصري " والتي أظهرت فيها اهتمام إعلانات التليفزيون بتوظيف الفتيات لأغراض التسويق ، وابراز الاهتمامات المتعلقة بالأنوثة على حساب الأدوار الأخرى الجادة للفتاة ، وكذلك تشويه صورة المرأة وابرازها كأنها موضوع للجنس ، حيث تهتم الإعلانات بإبراز جمال المرأة وجسدها . فهذه الصورة هي الشكل المرغوب فى المرأة من جانب الرجل (فاطمة القليني ، ٢٠٠١ : ٥٦) .

وفى دراسة أخرى لميرفت عبد الناصر بعنوان " حكومة الجسد " تشير الكاتبة إلى أن اهتمام المرأة الغربية بالنحافة ، واحيانا بالسمنة واتباعها نظاما غذائيا قاسيا أحيانا ، أو مفرطا فى أحيان أخرى هو نوع من السلوك تمارسه المرأة الغربية لمواجهة القهر الذي وقع عليها ، بعد أن شكك التحرر الاقتصادي فى قدرتها الإنتاجية مما همش دورها فى سوق العمل ، فاتخذن هذا السلوك لمواجهة إحساسهن بالضعف وقلة الحيلة . فالتحكم فى الجسد – عن طريق الإقلال أو الإكثار من الطعام – أعطاهن إحساسا وهميا بقدرتهن على التحكم وضبط النفس والإنجاز فى تسخير الجسد لرغبة العقل (ميرفت عبد الناصر ، ٢٠٠٢ : ٦٨) . وإذا كانت تلك الدراسة تشير إلى الضغوط النفسية التي تتعرض لها المرأة ، فقد شاركتها فى ذلك دراسات أخرى كدراسة روبن التي أكدت على أن النساء المتزوجات على الرغم من تمتعهن بمزايا عاطفية فى حياتهم الزوجية ، إلا إن صحتهن النفسية نتيجة إحساسهن بالقهر ، اكثر تدهورا مقارنة بصحة بأزواجهن النفسية (Robin , Simon , 2002 : 106) .

وعن دراسات النوع والهوية نجد دراسة فالنتن مجدم " النساء وسياسات الهوية " يشير مجدم إلى أن اكثر أفراد المجتمع عرضة للإصابة بميكروب الغرب Westilis ، أو الهوس بأوربا Eurobanin – ويقصد بهم الأكثر اغترابا عن ثقافتهم – هم النساء . خاصة النساء اللائى تلقين تعليما غربيا ، حيث يستطيع المستعمرين الكولونيا لين والإمبرياليين أن يضعفوا ثقافة النساء بسهولة بتجريدهن من العفة ، والاحتشام والشرف ، وكذلك من خلال بث أفكار استقلالية فى اتخاذ القرار وما إلى ذلك . ومن هنا فيرى مجدم أن أهم مصل مضاد لفيروس الغرب – كما حدث فى الجزائر وإيران على سبيل المثال – هو فرض الحجاب على المرأة من اجل حماية الهوية الثقافية (فالنتن مجدم ، ٢٠٠٢ :٨٤) .

أما دراسات النوع والمواطنة فقد ركزت معظمها على المرأة وحقوق المواطنة بالنسبة لها مقارنة بالرجل ، وعرضت لنماذج من دول الشرق الأوسط . ففي دراسة بثينة شيريت عن " نوع الجنس والمجتمع المدني والمواطنة فى الجزائر " تشير إلى تهميش الدولة لدور المرأة فى ميدان

العمل العام . وتحديد دورها داخل المنزل ، ودعمت ذلك بمحاولات إسلامية أعاقت دور المرأة الجزائرية ، واصبح مطالبتها بحقوقها يتطلب تضحية بوضعها داخل الأسرة (بثينة شيريت ، ١٩٩٧ : ٢٢) .

وفى دراسة أخرى لآن مكلينتوك بعنوان النوع ، والعرق ، والوطن ترى أن النساء يتم استبعادهن من أي فعل مباشر كمواطنات . فهن يضعن رمزيا فى سياق سياسات الجسد الوطني حيث تصاغ النساء على إنهن يحملن الوطن رمزيا ، مع حرمانهن من أية علاقة مباشرة بالفعل الوطني. فالنساء بالنسبة للحركات الوطنية لا يخرجن عن الآتي :

١- إنهن ينتجن أعضاء جدد للمجتمع الوطني .
٢- إنهن ينتجن الحدود الفاصلة بين الجماعات الوطنية من خلال القيود المفروضة على علاقات الزواج والعلاقات الجنسية .
٣- إنهن منتجات وناقلات للثقافة الوطنية .
٤- النساء يرمزن للاختلاف الوطني (آن مكلينتوك ،٢٠٠٢ : ٢٤٥) .

وفى مقالة لسعاد جو زيف بعنوان " نوع الجنس والمواطنة فى دول الشرق الأوسط " تشير إلى أن مفهوم المواطنة منذ نشأته فى الشرق الأوسط ، اتسم كما هو الحال فى الأماكن الأخرى ، بطابع متعلق بنوع الجنس . وعلى الرغم من ان الدساتير مكتوبة بلغة المواطن العام – أي بلغة محايدة من زاوية نوع الجنس – فان مؤسسات الدولة والعمليات السياسية كانت تفترض أن المواطن رجل ، وان المرأة هي عنصر تابع من الطبقة الثانية من أعضاء المجتمع السياسي (سعاد جوز يف ، ١٩٩٩ : ٥) .

ومن الدراسات التي اهتمت بالمرأة والعولمة نجد دراسة شريف حتاتة بعنوان " العولمة والمرأة وتقسيم العمل الدولي " يشير فيها إلى أن عصر العولمة ، والشركات المتعددة الجنسيات تشهد من جديد حركة جذب قوية للمرأة إلى العمل ، كجزء من التراكم المضاعف الذي تسعى إليه هذه الشركات . فالمرأة من وجهة نظر هذه الشركات أفضل من الرجل فى كثير من الأعمال فهي تصلح للعمل كجزء من الوقت وبمرتب أقل ، كما إنها تقبل القيام بأعمال قد لا يقبلها الرجل فمع الهجوم الرأسمالي ، وتقلص الضمانات الاجتماعية التي كانت تقدم للرجال ، نزلت المرأة إلى سوق العمل بأعداد متزايدة ، لتكمل ما فقده الرجال . وفى عصر العولمة أيضا كان للمرأة دور آخر فى التراكم الرأسمالي ، حيث أصبح لها دور هام فى الاستهلاك ، فعصر العولمة قائم على الاستهلاك المتزايد الذي لا تحده حدود (شريف حتاتة ، ١٩٩٩ : ٢٣٥) .

وفى دراسة أخرى عن " النوع والعولمة الصناعية " أجريت على عمل النساء فى مجال الإلكترونيات والتغيرات التي طرأت على سوق العمل فى مدينة دلهي بالهند ، تبين أن هناك طبقة جديدة من العمال بدأت المصانع تتوسع فى طلبها و هى إناث غير متزوجات ، صغيرات السن ، لسن على درجة كبيرة من المهارة ، ويتقاضين أجورا منخفضة . وعلى الرغم من تراجع تلك الصورة الآن عما كانت عليه فى مرحلة السبعينات ، إلا أن التفرقة بين الجنسين فى مجالات العمل مازالت مستمرة . فقد أظهرت الدراسة أن مظلة تأمينات العمل بالهند لا تغطى سوى ١٢% فقط من العاملين ، والنسبة أسوأ بالنسبة للنساء حيث تصل إلى ٦% فقط من النساء اللائى يعملن بطريقة رسمية مقابل ٩٤% لا يعملن بطريقة غير رسمية . كما أظهرت النتائج أنه على الرغم مما تتميز به صناعة الإلكترونيات بالاعتماد على المعدات المتقدمة الحديثة ، إلا أن هناك تقسيما على أساس الجنس أو النوع للعاملين فى مجال الإنتاج .

فهناك أعمال للإناث وأخرى للذكور . فعدد النساء اللائى يعملن مساعدات للفنيين أو المهندسين قليل جدا ، كذلك لا توجد نساء يعملن فى مناصب قيادية . كذلك بالنسبة للأجور فهناك فرق كبير بين أجور النساء والرجال ، ففي ٥٣% من الحالات كانت أجور الرجال أعلى من أجور النساء ، وفى ١٦% فقط من الحالات كانت الأجور مساوية . هذا بالرغم من أن بداية المرتبات واحدة (Amrita Chhachhi , 1999: 1- 7) .

وتكشف لنا دراسات المرأة والنوع التى عرضنا لها آنفا ، أن المرأة مازلت مقهورة جسديا، ونفسيا ، واجتماعيا . فمازالت تصور كموضوع للجنس ، ومازالت تهمش من العمل مما يحملها أعباء نفسية كبيرة ، كما أنها لا تعامل كمواطنة ذات فاعلية وأهمية فى المجتمع المدنى .

٣- قضايا الهوية القومية والمواطنة : Identity and citizenship

زاد تصدع الدولة القومية فى ضوء نظرية ما بعد الحداثة ، بفعل العوامل الكونية الاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية ، بعد أن كان ينظر للدولة القومية فى فكر الحداثة باعتبارها هي حدود المجتمع . ولذا فقد ارتفعت الأصوات تنادى – فى ظل التأثير والهيمنة المستمرة من قبل العولمة على الدولة القومية – بضرورة إحياء الهوية القومية والمواطنة لمواجهة ظرف ما بعد الحداثة والعولمة .

وتشير دراسة لمجدي حجازي عن " العولمة وتغريب الذات الوطنية " ، إلى أن العولمة قد أفرزت نمطا جديدا من الشخصية الهامشية ، وعملت على تعميم نوع آخر من الثقافة الاستهلاكية هى الثقافة الشعبية الأمريكية . كما عملت العولمة على تهميش الثقافة الوطنية ، وانحسار الانتماء القومي ، وتكوين سمات شخصية جديدة للإنسان المصري تحمل بين طياتها تناقضات الثقافة فى ظل متغيرات عصرية (مجدي حجازي ، ١٩٩٩ : ٢٨٣ - ٣٩٩) .

وفى دراسة أخرى لعبد الإله بلقزيز عن " العولمة والهوية الثقافية " يؤكد فيها على إنه مع تمدد العولمة الثقافية ، تراجعت السيادة الثقافية و انحسرت ، وذلك بسبب انهيار النظام الثقافي الوطني التقليدي ، نتيجة للاختراقات المتزايدة التي منيت بها مؤسسات إنتاج الرموز والقيم بالمجتمع ومنها المؤسسات التعليمية ، ومؤسسة الأسرة (عبد الإله بلقزيز ، ١٩٩٨ : ٩١) .

ويوجه عابد الجابرى - فى دراسة له حول نفس الموضوع - الانتباه إلى ضرورة التفرقة فى دراسات الهوية الثقافية بين ثلاث مستويات للهوية الثقافية ، فهناك الهوية الفردية ، والهوية الجمعوية ، والهوية الوطنية القومية . ويرى أنه من الواجب علينا أن ننظر للعولمة على إنها ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي ، بل هى أيضا أيدلوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم ، وتفرض ثقافة الاختراق . كما يرى إننا فى حاجة إلى التحديث أي الانخراط فى عصر العلم والثقافة كفاعلين مساهمين ، كما إننا فى حاجة إلى مواجهة الاختراق الثقافي وحماية هويتناالقومية ، وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشى تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم اجمع ، بوسائل العلم والثقافة (محمد عابد الجابرى ، ١٩٩٧ : ٢٩٧ – ٣٠٩) . وقد أشارت إحدى الدراسات إلى هذا المضمون أيضا ، حيث أكد إسماعيل عبد الباري على أن تطور الغزو الثقافي وقدرته على طمس الهوية العربية والإسلامية ، نجم عنه ما شهدته الدول العربية من صحوة إسلامية لمواجهة هذا الغزو(إسماعيل عبد الباري ، ٢٠٠٣ : ٣٠٦)

وقد وقف بعض المفكرين من قضية الخصوصية الثقافية والعولمة موقفا نقديا ، فيرى السيد يس أن موضوع الخصوصية الثقافية المهددة وفق نظرية العولمة ، تحتاج إلى وقفة نقدية صارمة . ذلك انه من المتفق عليه أن أي مجتمع إنساني له خصوصيته الثقافية ، بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد والذي لا يمكن أن يتكرر . فهي أشبه بالبصمة الثقافية المتفردة ، وإذا كان هناك خاص وعام ، فهناك خصوصية ثقافية ومشتركة بين المجتمعات والأمم فى نفس الوقت – فهناك خصوصية ثقافية مغلقة ، وخصوصية ثقافية مفتوحة – والخلاف يبقى حول طبيعة هذا التفاعل بين الخاص والعام ، واتجاهاته وآثاره (السيد يس ، ١٩٩٩ : ٤١ – ٤٢) .

كذلك يؤكد محمد الجوهري على أنه ليس من الصواب أن نضع العولمة فى مواجهة الهوية، ونرتب على ذلك القول بأن اضطراد العولمة ، يقابله ويصاحبه تأزم فى الهوية القومية أو الوطنية . ولكن يجب علينا لكي نواجه العولمة ، ونؤكد هويتنا الثقافية المصرية ، أن نحمل بعض مكوناتنا القيمية ، التي بها بعض الخير أو كل الخير ونعد خلطة مصرية بإضافتها إلى التراث العالمى الوافد الينا ، ونعيد تصديره . وبذلك نكون أطرافا فاعلين فى عملية تبادل عالمي لن تهدأ ولن تتوقف – لأننا – كما يرى محمد الجوهري – لو اخترنا غلق الأبواب أمام العولمة الآتية بقواها وتياراتها وتأثيراتها ، فلن يؤدى ذلك إلا إلى تكريس تخلفنا ، والى شرنقة لن تضر أحد سوانا(محمد الجوهري ، ٢٠٠٢ : ٣٦٩) .

٤- قضايا الثقافة الاستهلاكية : Consumer Culture

يستهل تيم إدواردز Tim Edwards كتابة " تناقضات الاستهلاك " بعبارة يؤكد فيها طبيعة المجتمع الذي نعيشه الآن ، حيث يقول " أصبحنا الآن نعيش فى المجتمع الحديث كضحايا لما يطلق عليه المجتمع الاستهلاكي " أو " مجتمع الاستهلاك " حيث تنتشر النزعة الاستهلاكية Consumerism ، تحت سيطرة أو سيادة ما يسمى بالثقافة الاستهلاكية مرورا بحدوث ثورة الاستهلاك Consumer revolution . ونتيجة لذلك ، يرى إدواردز أن السنوات الأخيرة قد شهدت على الصعيد الأكاديمي وفى أشكال الخطاب العام اهتماما متزايدا بالقضايا والأنشطة المتعلقة بالاستهلاك (Tim Edwards, 2000 : 1) .

فقد ارتبطت الثقافة الاستهلاكية ببزوغ مجتمع ما بعد الحداثة ، وتغلغله فى كافة جوانب الحياة المعاصرة . فعملية الاستهلاك هى عملية لها جوانب فسيولوجية تتعلق باستهلاك الطعام، والملابس والأدوات ، وجوانب اجتماعية ترتبط بعملية الشراء ذاتها . وجوانب ثقافية ترتكز حول المتعة والترفيه والسفر والسياحة . ومن هنا فان ما بعد الحداثة كما يرى اندرو ميلنر Andrew Milner هى سيطرة ثقافية للرأسمالية المتأخرة التى تعد استهلاكية فى نفس الوقت ، فالسلع الرمزية فى المجتمعات الغربية المعاصرة والاتجاهات نحو التفكك الثقافى هى أساس الثقافة الاستهلاكية وتوجهات ما بعد الحداثة (ناهد سيف ، ١٩٩٩ : ١٨٤)

ويؤكد إدواردز فى كتابه على أن الاستهلاك ظاهرة متعددة الأبعاد تمر بسلسة من الخبرات بدء من التسوق فى محيط وحدة المعيشة Household ، إلى قضاء الإجازات فى الغابات . بالإضافة إلى هذا فان الثقافة الاستهلاكية يمكن أن تشمل ممارسات متنوعة بدءا من قضاء وقت الفراغ فى مشاهدة التليفزيون حتى الإنفاق . وعلى الرغم من تعدد أبعاد الاستهلاك إلا أن المجتمع الاستهلاكي يظل يتسم بأنه اجتماعي ، بالإضافة إلى القهر الذي يمارسه على الطبقة ، النوع ،

السلالة . وخلق أشكال جديدة من التدرج الاجتماعي طبقا ووفقا للدخل والحالة الائتمانية (Tim Edwards , 2000 ; 3)

ويتناول سيجوند بومان قضية الاستهلاك من منظور التغير الاجتماعي ، وما بعد الحداثة، إذ يرى أن الاستهلاك قد لعب دور كبيرا في حدوث التغير الاجتماعي في الدول المتقدمة . مشيرا إلى وجود مستهلك جديد لا يملك السلطة ، بل تتحكم فيه قوى السوق من خلال ما يستخدمه من سلع ومنتجات . وهنا ميز بومان بين فئتين اجتماعيتين الأولى ، من تمت غوايتهم ، أي الذين يعيشون في عالم الثقافة الاستهلاكية ، والثانية المقهورون أو المحرومون أي الذين يملكون موارد قليلة عن الفئة الأولى ، ولذا فهم مستثنون من السوق . ويرى بومان أن كلا من الفئتين يبحث عن هويته في حرية الاختيار والتعبير الذاتي المستقل . وحتى بالنسبة لهؤلاء المحرومين فان مجرد إسهامهم في شراء سلع لأعضاء الجماعة يعد مؤشرا للتعبير عن الذات .

فالاستهلاك لم يعد متميز بالطابع الأسلوبي Style ، ولكنه أيضا أصبح ضربا من ضروب المال والاقتصاد ، والممارسة الاجتماعية ، والتوزيع الاجتماعي ، والسياسة . لذلك تطرح عدد من القضايا الهامة التي تتعلق بالمجتمع الاستهلاكي وهى قضايا تتعلق بالقوة ، اللامساواة ، الفردية ، الهوية ، التدرج الاجتماعي ، والاقتصادي . إلا أن ذلك لا يعنى استبعاد القضايا (المشكلات) المتعلقة بالثقافة والممارسات الثقافية ، حيث إنها يجب التأكيد عليها ووضعها فى سياقها (Tim Edwards , 2000 ; 3) .

ومما ساعد على انتشار الثقافة الاستهلاكية التطور الهائل فى وسائل تكنولوجيا الاتصال والتبادل الواسع للسلع عبر عالم كوني تحكمه الشركات متعددة الجنسيات ، التي فرضت هيمنتها بما تنتجه من سلع متعددة ومتنوعة تنتشر وتوزع عبر أنحاء العالم . وقد ساهمت الوسائل الإعلامية فى الترويج لها ونشرها بين أنحاء العالم ، فالإعلان والتسوق يعدان من العوامل الهامة فى نمو مجتمع الاستهلاك فى القرن العشرين ، فلم يعد التسوق نشاطا شخصيا من أجل الحصول على المتعة ، بل اصبح حقيقة موضوعية ، ووظيفية مادية خاصة فى المجتمعات الغربية الحديثة (Tim Edwards , 2000 : 3)

ويصف بنجامين باربر ، هذا العالم الذي أسماه " عالم ماك " بأنه إفراز من إفرازات ثقافة تحركها التجارة التوسعية ، قالبه أمريكي ، وطابعه الترف ، أما سلعه فهي الصور ، إلى جانب المعدات وخطوط الجمال بجوار خطوط الإنتاج . هذا الإنتاج الذي انتقل من إنتاج صناعي ثقيل لإنتاج سلع استهلاكية صلبة توجه إلى الجسم ، إلى اقتصاد جديد يعكس قوة لينة بإنتاج خدمات لينة – وثيقة الصلة بالمعلومات والترفيه وأسلوب الحياة – تستهدف العقل والروح ، أي الانتقال من الجسم إلى الروح (بنجامين باربر ، ١٩٩٨ : ٦٩) . وهذا التحول الذي أشار إليه بنجامين هو روح فكر ما بعد الحداثة .

وقد تنوعت دراسات الاستهلاك بما يكشف عن هذا الواقع الجديد لمفاهيم وممارسات وسياسة الاستهلاك . فقد ظهرت دراسات توضح أشكال الاستهلاك فى العالم المعاصر ، وأخرى اهتمت بالعولمة وثقافة الاستهلاك . وهناك دراسات أولت أهمية للشرائح الاجتماعية والاستهلاك، وأخرى تناولت الاستهلاك والبيئة وكذلك الاستهلاك والتنمية . وسوف نشير إلى نماذج من تلك الدراسات فيما يلى :

تناولت عايدة السخاوى قضية تأثير الإعلان التليفزيوني على تكريس مفاهيم الاستهلاك فى المجتمع المصري ، حيث أوضحت الدراسة أن إعلانات السلع الاستهلاكية فى التليفزيون المصري قد مثلت نسبة ٧١% من جملة الإعلانات المقدمة فى التليفزيون . وأن ٦٠% من هذه الإعلانات عبرت عن مستويات اقتصادية عادية (عايدة السخاوى ، ٢٠٠١ : ١١) .

وفى دراسة لمجدي حجازي عن ثقافة الاستهلاك ، أوضح أن هناك عوامل كثيرة تساعد على تشكيل ظاهرة الاستهلاك ونشر ثقافته ، ومنها الرأسمالية التي ساهمت فى خلق هذه الثقافة ليس فقط عن طريق إعداد الجمهور لاستهلاك السلع الرأسمالية ، ولكن فى الوقت نفسه نشر مضامين الثقافة الغربية . كذلك تناول الباحث أثر المال النفطي على زيادة الاستهلاك لدى المهاجرين الذين يجيدون المتعة فى اقتناء السلع ، كذلك أشار إلى الدور الذي يلعبه الإعلام فى عملية الترويج لثقافة الاستهلاك فى عصر العولمة ، والذي أصبح صناعة فى غاية الدقة والسهولة فى نفس الوقت (مجدي حجازي ، ٢٠٠٢ : ١١٥) .

ومن الدراسات التي استهدفت كشف العلاقة بين العولمة وثقافة الاستهلاك ، أشارت آمال عبد الحميد إلى بعض الآليات التي من خلالها استطاعت العولمة أن تفرض هيمنتها ، وذلك عن طريق انتشار الشركات العالمية متعددة الجنسيات وانتشار منشآتها بشكل متنام فى معظم المجتمعات ، وما تتخذه هذه المنشآت من آليات لجذب وترسيخ ثقافة الاستهلاك عن طريق ما استحدثته من منشآت جديدة كالمطاعم ومراكز التسوق التجاري (المولات) ودور الملاهي . مما جذب قاعدة عريضة من المستهلكين أغلبهم من الأغنياء والشباب والأطفال (آمال عبد الحميد ، ٢٠٠١ : ١٣٦) .

وفى دراسة أخرى عن الطعام (الغذاء) والطقوس المرتبطة به (المنزل ، الاستهلاك ، الهوية) تشير جيل فالنتين إلى أن الغذاء يعد واحدا من أهم النواحي المسلم بها فى حياتنا اليومية. وينعكس ذلك بشدة على الطرق التي نفكر بها فى كيفية القيام بعمليات التسوق ، و الطبخ و الأكل أيضا . وتظهر هنا وظيفة المنزل كموقع استهلاكي . فالبيت هو البيئة الأكثر صلاحية لدراسة العلاقة بين الناس وبين السلع . وقد أشارت الكاتبه الى دراسة أوسع لتشارلز دكيرز ١٩٨٨ تمثل مشروعا عن الغذاء والعائلات إلى أهمية الوجبات المتميزة التي تؤكل على مائده تجمع كل أفراد الأسره ، و تتميز بأنها تضم أغذية طازجة وطبيعية ، و كيف أن هذا يستلزم من النساء الاتجاه إلى الشراء ، والطبخ لتقديم هذه الوجبة المتميزة لأزواجهن ، وخاصة بعد أن روجت مصانع المنتجات الغذائية والمجلات النسائية وكتب الطهي والمعلنين عنها لفكرة أن هذه الوجبة المتميزة هي المفتاح أمام النساء لتحقيق زواج ناجح وحياة منزلية ناجحة (Gill Valentine , 1999 , 491) .

وثمة نوع آخر من الاستهلاك - وهو الاستهلاك البيئي - حيث أشارت دراسة هناء الجوهري وكذلك دراسة على مكاوي إلى مساهمة الاستهلاك فى المجتمع المصري فى تلوث البيئة وخاصة بالنسبة لقنوات الري . فقد صارت قنوات الري تجسيدا للتلوث ، ومستودعا للقمامة المنزلية . وقد ساعد التحضر ومصاحباته على تزايد استهلاك البيئة (على مكاوي ، ٢٠٠١ : ٣٠٣) . وتركز دراسة هناء الجوهري على مشكلة المياه فى مصر ، والأزمة المتوقعة مع زيادة نسبة السكان ، وزيادة معدلات التحضر مع ثبات الموارد المجتمعية . وتشير الباحثة إلى أهمية تقديم توعية اجتماعية شاملة ، بهدف تعريف العامة بأهمية المياه ، كي يستطيعوا المشاركة فى السياسات المائية بشكل فعال (هناء الجوهري ، ٢٠٠١ : ٣٣٣) .

وفى دراسة لأحمد زايد عن الاستهلاك فى المجتمع القطري ، تناول الباحث الاستهلاك كأسلوب للحياة . حيث يرى أن الثقافة الاستهلاكية تخلق عالمها الرمزي الخاص الذي يؤثر تأثيرا كبيرا فى التفاعل بين الأفراد ، ويلعب دورا بالغا فى تحديد المكانة الاجتماعية. وقد تبين أن الثقافة الاستهلاكية فى مجتمعات الخليج يغلب عليها الطابع الرمزي للاستهلاك ، ويرجع ذلك لأسباب منها الوفرة المادية التي تمتلكها هذه المجتمعات والتي تيسر لأفرادها شراء واقتناء واستهلاك سلع متنوعة . وقد تبين أن هناك ثمة متغيرات ذات صلة برموز الاستهلاك داخل المجتمع القطري ومنها السن ، ونمط الإقامة ، ومتغير التعليم . فصغار السن من الشباب كانوا أكثر إدراكا للفاعلية الرمزية لسلع الاستهلاك من كبار السن ، كذلك كان المقيم فى مدينة الدوحة أكثر ميلا إلى الاستهلاك من المقيم خارجها . كذلك اتضح عزوف المستويات التعليمية العليا عن الاستهلاك الرمزي للسلع وكانت أكثر ميلا إلى التأكيد على الوظائف الأدائية لها . وقد كشفت الدراسة عن أسلوب الحياة ودوره فى تشكيل ثقافة الاستهلاك فى المجتمع القطري ، وذلك من خلال الكشف عن طبيعة السلع التي يحرص على اقتنائها القطريون ، وكذلك أساليب قضاء وقت الفراغ ، واقتناء بعض الأشياء الثمينة . هذا فضلا عن الكشف عن العوامل التي شكلت الثقافة الاستهلاكية فى المجتمع القطري والتي تمثلت فى وسائل الإعلام بدأ من التليفزيون وحتى المجلات والنشرات التي كانت أكثر تأثيرا على النساء والشباب ، كما لعب الآخرون دورا فعالا فى نشر الثقافة الاستهلاكية فى المجتمع القطري نظرا لصغر المجتمع ، وطبيعة علاقات الوجه للوجه (احمد زايد ، ١٩٩١ : ٢٣٣) .

وقد ظهرت قضية الذات – الهوية – كإحدى القضايا الهامة المرتبطة بالثقافة الاستهلاكية وما بعد الحداثة . فالحداثة وما بعد الحداثة هما مطلب لعملية بناء الأفراد لذواتهم . فعن طريق الذات يمكن أن يحافظ الأفراد على مكانتهم فى المجتمع ، حيث تتضمن عملية بناء الذات – فى جانب كبير منها – على سلوك استهلاكي (ناهد سيف ، ١٩٩٩ : ١٩٩) . ويؤكد على هذا المفهوم دراسة لجوناثان فريدمان حول " العولمة والمحلية " حيث يعرض جوناثان ثلاثة نماذج لمجتمعات فقدت هويتها ، بعضها بسبب الاستعمار ، وبعضها بسبب اعتبارها أقلية مقهورة ، وأخرى بوصفهم جماعات منبوذة . وقد حاول كل منهم أن يثبت ذاتيته وهويته بأساليب استهلاكية مختلفة . فالنموذج الأول لجماعة " الغندور " بجمهورية الكنغو الشعبية و هى جماعه تضم شرائح دنيا من الأفراد ، يعيشون فى برا فيل ومدينة بوان نوار. وقد قامت هذه الأقلية المقهورة بمحاولة تأكيد مكانتها عن طريق توجهها إلى شراء السلع المستوردة ذات الماركات العالمية ، كالملابس ، والسيارات ، و أفرطوا فى استهلاك هذه المنتجات المستوردة ، و لكن هذا الاسلوب الاستهلاكى استطاع أن يحقق لهم مكانتهم وهويتهم .

والمثال الثاني لأقلية عرقية معروفة باليابان تعرف باسم " الاينو " وهم جماعات منبوذة . وقد حاولت هذه الجماعة أن تخلق لنفسها هوية عن طريق إقامة بيوت تقليدية ، تمارس فيها أنشطة فردية ، وتدرس فى بعضها اللغة ، والتاريخ ، والرقص التقليدي لهذه الجماعة ، فضلا عن صناعة النسيج ونحت الخشب. ويتم الإعلان عن كل ذلك لجذب السائحين ، لشراء منتجاتهم وتدريبهم على بعض الصناعات ليصنعوها بأنفسهم ، وهكذا استطاعت هذه الجماعة عن طريق إعادة ثقافتها التقليدية ، وتقديمها للآخرين ، أن تستعيد بناء هويتها من جديد .

والنموذج الثالث ، تمثل فى حركة هاواي وكفاحها لإحياء نمط الحياة التقليدية، والهوية الثقافية لها ، تلك الهوية التي اختفت نتيجة الهيمنة الأمريكية التي ظلت لبعض الوقت . وما أن زال الحصار حتى بدأت صحوة الهويات الثقافية المحلية تعمل ، فبرعت هاواي فى صناعة السياحة

وجذبت إليها السائحين من مختلف أنحاء العالم ، وبذلك حققت هويتها الثقافية (جوناثان فريد مان ، ٢٠٠٠ : ٣٠١) .

وتكشف دراسات الاستهلاك السابق الإشارة إليها ، أن الاستهلاك المعاصر لم يعد يعتمد على عملية شراء وبيع السلع المادية ولكنه يرتكز على أشكال رمزية للمعنى يخلقها الأفراد لتأكيد ذواتهم .

الخاتمـــــة

سعت هذه الدراسة إلى تقديم رؤية أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة لقضايا التغير الاجتماعي. وقد عرضت الباحثة في مقدمتها لقضايا التغير الاجتماعي في الأنثروبولوجيا الكلاسيكية ، الأمر الذى كشف لنا اهتمام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الوظيفيين بعوامل التغير واتجاهاته، وتأكيدهم على مفاهيم الثبات ، والتوازن والنظام والإجماع ، مقابل الاهتمام بمفاهيم التغير والصراع . مما أثار العديد من المناقشات التي أخذ بعضها على الوظيفيين الأنثروبولوجيين إغفالهم لقضايا التغير واهتمامهم بالعوامل الداخلية في إحداث التغير ، وتأكيدهم على التغير التدريجي البطيء . و ذلك في مقابل بعض المدافعين عن هذا الاتجاه الذين أكدوا على أن الوظيفية لم تخل أعمالها من الاهتمام بالتغير ودللوا على ذلك بأعمال ميرتون وبارسونز وحتى دور كايم ، هؤلاء الذين أكدوا على وجود الخلل الوظيفى ، و نادوا بضرورة إعادة التكامل بين الأنساق . وقد تمخضت هذه المناقشات عن ظهور الأنثروبولوجيا النقدية التي أولت اهتماما بالدراسات الاثنوجرافية ، في ضوء الاهتمام بتأثيرات النظام العالمى، ورفضت بعض الأفكار الوضعية التي وصفت المجتمعات التقليدية بالتجانس ، والإجماع واللافردية . ومن ثم ظهرت بدايات أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة التي جاءت لتحث الأنثروبولوجيين على ضرورة تجاوز التصور الاثنوجرافى ، وإعادة التفكير في مفهوم الثقافة في ضوء التركيب العالمى الجديد للرأسمالية .

ثم عرضت الدراسة لمفهوم ما بعد الحداثة والمفاهيم المرتبطة به كمفهوم الحداثة والعولمة والمناقشات التي دارت حول ما إذا كانت ما بعد الحداثة مرحلة جديدة أم إنها مرحلة متأخرة من مراحل الحداثة . وانتقلت الباحثة إلى مناقشة قضايا التغير الاجتماعى في ضوء ما بعد الحداثة . وقد كشف هذا الطرح عن بعض القضايا النظرية والمنهجية الهامة مثل إعلان منظرى ما بعد الحداثة لتفكك المجتمع وعدم وجود النظام ، وانتهاء كل ما هو اجتماعى . والتأكيد على كل ما هو ثقافى ووجدانى والاهتمام بالفرد وعالم الحياة اليومية . وقد أدى هذا بالباحثة في نهاية الدراسة الى أن تختار نماذج لدراسات تكشف عن واقع فكر ما بعد الحداثة وتمثل فى نفس الوقت اهتماما على المستوى العالمى ، وتلك القضايا هى قضايا البيئة والصحة ، قضايا المرأة والنوع الاجتماعى ، قضايا الهوية القومية والمواطنة وقضايا الثقافة الاستهلاكية والتى خلصنا منها إلى اهتمام معظمها وتركيزها على الجوانب الثقافية والحقوق الإنسانية للفرد .

قائمـــة المـراجع

أولا: المـراجع العربيـــة

١) أحمد القصير ، ***منهجية علم الاجتماع بين الوظيفية والماركسية والبنيوية*** الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .

٢) أحمد زايد ، أعتماد علام ، ***التغير الاجتماعي*** ، مكتبة الانجلـو المصريـة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

٣) أحمد زايـد ، "آفاق جديدة فى نظرية علم الاجتماع ، نظريـة تشكيـل البنيه (نظرية البنينه)" ، **المجلة الاجتماعية القومية** ، المركز القومـى للبحوث الاجتماعية و الجنائية ، مج ٣٣ ، ع ١ ينـاير/ مـايو ١٩٩٦ .

٤) ـــــــ ، ***خطاب الحياة اليومية فى المجتمع العربي*** ، دار القراءة للجميع ، الطبعة الأولى ، دبي ، ، ١٩٩٢ .

٥) ـــــــ وآخرون ، ***الاستهلاك فى المجتمع القطري أنماطه وثقافته*** ، الدوحة. ١٩٩١ .

٦) أحمد مجدي حجازي ، "العولمة وتغريب الذات" ، فى : محمود الكردي ، **الشخصية المصرية فى عالم متغير** ، أعمال الندوة السنوية الخامسة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ .

٧) ـــــــ ، **علم الاجتماع العام ، الأسس و القضايا و المشكلات** ، القاهرة ، دار العلم ، ٢٠٠٢ .

٨) إسماعيل عبد الباري ، "الغزو الثقافي وأساليب مواجهته" ، فى : **دراسات فى علم الاجتماع** ، مهداه إلى روح ا . د . مصطفى الخشاب ، تحرير احمد زايد ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣ .

٩) آلان تورين ، ***نقد الحداثة*** ، ترجمة أنور مغيث ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٧ .

١٠) السعيد المصرى ، ***الأنثروبولوجيا النقدية والتحولات النظرية والمنهجية*** ، رسالة ماجيستير ، كلية الآداب ، قسم الاجتماع ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ .

١١) السيد يس ، ***العولمة والطريق الثالث*** ، ميريت للنشر والمعلومات ، ١٩٩٩ .
١٢) آمال عبد الحميد ،" العولمة والثقافة الاستهلاكية : الأشكال والآليات" ، فى : **المجتمع الاستهلاكي ومستقبل التنمية فى مصر** ، تحرير مجدي حجازي ، أعمال الندوة السنوية الثامنة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٢- ٢٣ أبريل ، ٢٠٠١ .

١٣) ـــــــــــ ، "القيم الأخلاقية للمرأة" ، دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف ، فى : علياء شكري وآخرون ، **المرأة والمجتمع وجهة نظر علم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ .

١٤) آن مكينتوك ،" لم نعد فى جنة المستقبل : النوع والعرق والوطن" ، فى : **أصوات بديلة** ، المرأة والعرق والوطن فى العالم الثالث ، ترجمة هالة كمال ، تحرير وتقديم هدى الصدة ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢ .

١٥) أنتونى جيدنز ، "علم الاجتماع" فى : مصطفى خلف (مترجم)، **قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع** ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢.

١٦) ـــــــــــ ، ***الطريق الثالث*** ، ترجمة احمد زايد ، محمد محيي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩ .

١٧) ـــــــــــ ، ***قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع*** ، ترجمة محمد محيي الدين ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ .

١٨) ـــــــــــ ، ***مقدمة نقدية فى علم الاجتماع*** ، ترجمة احمد زايد وآخرون ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ .

١٩) بثينة شيريت ، "قضايا نوع الجنس والمجتمع المدنى فى الجزائر" فى : **رؤى مغايرة** ، العولمة والوطنية ، ع ٨ ، ١٩٩٧ .

٢٠) بنجامين باربر ، ***عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة*** ، ترجمة احمد محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ .

٢١) ثروت اسحق ، "الخريطة الاجتماعية للصحة والمرض" ، فى : **الصحة والبيئة** ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ٢٠٠١ .

٢٢) جورج ريتزر ، " النظرية الاجتماعية المعاصرة" فى : مصطفى خلف (مترجم)، **قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع** ، مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢.

٢٣) جوردن مارشال ، ***موسوعة علم الاجتماع*** ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، مج١ ، مج٣ ، ٢٠٠٠ .

٢٤) جون اونيل ، "الايدز ذلك الرعب العالمي" فى : مايك فيذر ستون ، **ثقافة العولمة** : القومية والعولمة والحداثة ، ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠.

٢٥) جون جيرى ، ***الفجر الكاذب أوهام الرأسمالية العالمية*** ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، الطبعة الأولى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢ .

٢٦) حسن محمد حسن ، ***النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز*** ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣ .

٢٧) دونـال ، " مقدمـة فى علم الاجتماع" فى : مصطفـى خلف (مترجم)، **قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع** ، مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٢٨) دون روبوثام ، "ما بعد الاستعمار ، التحدي الذي يواجه التحديث الجديد" فى : **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** ، الأنثروبولوجيا قضايا وآراء ، العدد ١٥٣ ، سبتمبر ، ١٩٩٧ .

٢٩) زينب شاهين ، ***الاثنوميثودولوجيا ، رؤية جديدة لدراسة المجتمع*** ، مركز التنمية البشرية والمعلومات ، ١٩٨٧ .

٣٠) سامية قدرى ونيس ، " اجندة البحوث النسوية الطرح النظرى والمشكلات المنهجية" ، فى : **قضايا منهجية معاصرة فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا** ، تحرير محمود الكردى ، الندوة السنوية الرابعة بقسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧ .

٣١) سعاد جوزيف ، " نوع الجنس والمواطنة فى دول الشرق الاوسط" فى : **رؤى مغايرة** ، يصدرها مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان ، ع ٨ ، ١٩٩٧ .

٣٢) سعاد عثمان ، "بعض مظاهر الهدر البيئي فى مجال الصحة" ، فى : **البيئة والمجتمع** ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، إشراف محمد الجوهري ، علياء شكري ، مطبعة العمرانية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ .

٣٣) ـــــــــــ ، "ختان الإناث" فى : علياء شكري وآخرون ، **المرأة والمجتمع وجهة نظر علم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ .

٣٤) ـــــــــــ ، "عرض للاتجاهات الحديثة فى موضوع المرأة فى الدراسات الأنثروبولوجية" ، فى : علياء شكرى وآخرون ، **علم اجتماع المرأة** ، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠١ .

٣٥) سمير أمين ، " مناخ العصر – رؤية نقدية" ، فى : **العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربي** ، تحرير عبد الباسط عبد المعطى ، مركز البحوث العربية ، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٩ .

٣٦) شارلوت سيمور سميث ، ***موسوعة علم الإنسان : المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية*** ، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، أشراف محمد الجوهري، القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافة ، ١٩٩٨ .

٣٧) شريف حتاتة ،" العولمة والمرأة وتقسيم العمل الدولي" ، فى **العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربي** ، تحرير عبد الباسط عبد المعطى ، ، مركز البحوث العربية ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٩ .

٣٨) ضحى المغـــازى ، " سكـان المناطـق العشوائيـة بين ثقافـة الفقـر و استراتيجيات البقاء" ، **الأبعاد الاجتماعية لسياسات التكيف الهيكلى**، تحرير أحمد زايد ، الندوة السنوية الثانية لقسم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٩٥ .

٣٩) عادل أبو زهرة ،" تأنيث الثقافة" ، **النسوية والهوية** ، مركز دراسات المرأة الجديدة ، العدد التجريبي ، يناير ، ٢٠٠٢ .

٤٠) عالية حبيب ، ***بعض ملامح التغير فى شكل الأسرة الممتدة فى الريف المصرى*** ، رسالة ماجيستير ، كلية البنات ، قسم الاجتماع ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٦ .

٤١) عايدة السخاوى ،" الإعلان فى التليفزيون المصري وتكريس مفاهيم المجتمع الاستهلاكي" ، فى : **المجتمع الاستهلاكي ومستقبل التنمية فى مصر** ، تحرير مجدي حجازي ، أعمال الندوة السنوية الثامنة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٢- ٢٣ أبريل ، ٢٠٠١ .

٤٢) عايدة فؤاد ،" الهدر البيئي والاستقرار الاقتصادي الاجتماعي" ، رؤية مورفولوجية لقرى بحيرة قارون فى : **البيئة والمجتمع** ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، إشراف محمد الجوهري ، علياء شكري ، مطبعة العمرانية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ .

٤٣) عبد الإله بلقزيز ،" العولمة والهوية الثقافية : عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة" ، فى : **العرب والعولمة** ، تحرير أسامة خليل الخولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ع ٢٢٩ ، ١٩٩٨ .

٤٤) عبد الباسط محمد حسن ، ***علم الاجتماع*** ، الكتاب الاول المدخل ، مكتبة غريب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ .

٤٥) على المكاوي ،" التداعيات البيئية لأنماط الاستهلاك : قنوات الري نموذجا" ، فى : **المجتمع الاستهلاكي ومستقبل التنمية فى مصر** ، تحرير مجدي حجازي ، أعمال الندوة السنوية الثامنة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٢- ٢٣ أبريل ، ٢٠٠١ .

٤٦) على ليلة ، ***البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا المفاهيم والقضايا*** ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

٤٧) ـــــــ ، " مساهمة العلوم الاجتماعية فى مجال الوقاية والرعاية لمرض فيروس العوز المناعي " الإيدز " ، فى : **الصحة والبيئة** ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ .

٤٨) فاتن الحناوى ،" تلوث بحيرة قارون ومشكلات النشاط الاقتصادي" ، فى : **البيئة والمجتمع** ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، إشراف محمد الجوهري ، علياء شكري ، مطبعة العمرانية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ .

٤٩) فاروق العادلى ، " الفقر وثقافته ، والخصائص المجتمعية لسكان العشوائيات" ، فى: **الصحة والبيئة** ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ .

٥٠) ـــــــــــــ ، " الصياغة الاجتماعية لعلاقة الإنسان بالبيئة" ، **دراسات فى علم الاجتماع** ، مهداه إلى روح مصطفى الخشاب ، تحرير احمد زايد ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣ .

٥١) فاطمة القليني ، " صورة المرأة فى إعلانات التليفزيون المصري". دراسة فى تحليل المضمون ، فى : **فكر وإبداع** ، مركز الحضارة العربية ، العدد ٩ ، مارس ٢٠٠١ .

٥٢) فالنتين مجدم ، " النساء وسياسات الهوية ، منظور نظري مقارن" ، في : **النسوية والهوية**، مركز دراسات المرأة الجديدة ، العدد التجريبي، يناير ، ٢٠٠٢ .

٥٣) كاى ملتون ، " علوم التبيؤ : الأنثروبولوجيا والثقافة البيئية" ، فى : **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** ، الأنثروبولوجيا قضايا ووجهات نظر ، العدد ١٥٤ ، ١٩٩٧ .

٥٤) محمد الجوهري ، " العولمة والهوية رؤية أنثروبولوجية" ، فى **التراث والتغير الاجتماعي** ، الكتاب الأول ، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٥٥) ـــــــــــ ، "عودة علم الاجتماع إلى الفلسفة" ، فى : **دراسات فى علم الاجتماع** ، مهداه إلى روح مصطفى الخشاب ، تحرير احمد زايد ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣ .

٥٦) محمد عابد الجابرى ، " العولمة والهوية الثقافية" فى : أسامة أمين الخولى ، **العرب والعولمة** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ .

٥٧) محمد على محمد ، ***تاريخ علم الاجتماع (الرواد و الاتجاهات المعاصرة)***، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٦.

٥٨) محمود عبد الرشيد بدران ، ***علم الاجتماع ودراسات المرأة*** ، تحليل استطلاعي ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٥٩) منى الفرنوانى ،" الهدر البيئي وصحة الإنسان ، دراسة استطلاعية لأمراض سوء التغذية "، فى : **البيئة والمجتمع** ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، إشراف محمد الجوهري، علياء شكري ، مطبعة العمرانية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ .

٦٠) ميرفت عبد الناصر ، " حكومة الجسد" في : **النسوية والهوية** ، مركز دراسات المرأة الجديدة ، العدد التجريبي ، يناير ، ٢٠٠٢ .

٦١) ناهد احمد سيف فتح الله ، ***حركة ما بعد الحداثة وانعكاساتها فى الفكر الاجتماعي فى مصر*** ، رسالة ماجستير ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ .

٦٢) نيكولاس هوبكنز ، " الاعتبارات البيئية بدائل النظم الاجتماعية" ، فى : **العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربي** ، تحرير عبد الباسط عبد المعطى ، مركز البحوث العربية ، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

٦٣) هناء الجوهري ، " الأبعاد الاجتماعية والثقافية لاستهلاك المياه مع إشارة خاصة لقطاع الري "، فى : **المجتمع الاستهلاكي ومستقبل التنمية فى مصر** ، تحرير مجدي حجازي، أعمال الندوة السنوية الثامنة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٢- ٢٣ أبريل ، ٢٠٠١ .

٦٤) يحيى أبو بكر ، " قبيل قمة الأرض وبعدها ، البيئة والمجتمع والتنمية في قارب واحد" ، في : **مجلة تنمية المجتمع** ، ع٢ ، ١٩٩٢ .

ثانيـا: المراجع الأجنبيـة

1) Aventin, Laurent, and Pierre Huard, (1999). "What is at a take in the fight against HIV? AIDS in African companies", in: **international social science Journal, (I .S. S. J)** Health Policies and Social Values, Black Well Publishers, N. 161, sept

2) Cantell, Timo; Pedersen, Poulpoder, (1992) "Modernity, Post modernity and ethics... An interview with Zygman Bauman", **Telos, Fall 92 Issue 93, P133, 12 P.**

3) Chaney, David, (2002). "Cultural Change and Everyday Life",

4) Chhachhi, Amrita, (1999). "Gender, Flexibility, Skill and Industrial Restructuring": The Electronics industry in India, **institute of Social Studies**, Working Paper series N. 296 , Sep .

5) Coombe, Rose Mary J., (1991) "Encountering the Postmodern: new directions in cultural anthropology", **Canadian Review of Sociology & AnthroPology**, May 91, VOL. 28 Issue 2, P 188, 18 P.

6) Cripps, Michael J., (1998). "Post modernity in advanced industrial Societies", **Review of Politics**, VOL. 60, and spring

7) Edgar, Andrew, and Peter Sedgwick, (2002) "Cultural theory The Key Concepts", London and New York

8) Gilbert, Rob, (1992) "Citizenship, education and post modernity", **British Journal of Sociology of education**, VOL. 13.

9) H. V. Savitch, (2002) "what is new about globalization and what does it portend for cities" in: **I. S. S. J.**, June 172.

10) Haider, RAAna, .(1996) "gender and Development", **The American University In Cairo** Press, Egypt

11) Klages, Mary, (1997) "Postmodernism", **the Electronic labyrinth.**

12) Lash, Scott, (1990) "Sociology of Postmodernism", London and New York.

13) Latre, Agathe, - Catolawson, (1999) "Women and AIDS in Africa": Sociocultural dimensions of the HIV/ AIDS epidemic, in **I. S. S. J**, Health Policies and Social Values, Black Well Publishers, NO. 161, Sept., P. 392.

14) Mafeje, Archie, (1998), "Anthropology and Independent African": Suicide or End of an Era? In: **African Sociological Review**, NO. 1, 2,

15) Parsons, Tallcott, (1973) "A Functional Theory of Change" in: **Social Change Sources**, **Patterns & Conceptences,** Second Ed., Inc.,

16) Scott, Ann, and Monica Rosko, (1999) " In Search of Community action on HIV / AIDS in Asia" in **I. S. S. J** , Health Policies and Social Values , Black Well Publishes , NO . 161, sept.

17) Simon, W. Robin, (2002) "Revisiting the Relationships among Gender, Marital Status, and Mental Health", in **AJS**, VOL. 107, Jan.,

18) Smith, Gregory Bruce, Heidegger, (1991) "technology and Post modernity", **Social Science Journal**, VOL. 28 ,

19) Thompson, Grahame, (1999) "Introduction: Situating globalization" in**: I. S. S. J**. June, 160,

20) Turner, S. Bryan, (1996) "The Blackwell Companion To Social Theory", Blackwell Puplishers Ltd.,

21) Valentine, Gill, (1999) "Eating in: home, Consumption and identity", **The Sociological Review**, VOL. 47, N. 3,

22) Weiner, B. Annette, (1995) "Culture And Our Discontents",in:**American Anthropology**, Vol., 97, No. 1,

23) Wood, Ellen Meiksins, "Modernity, Post modernity, or Capitalism" **Monthly Review: An Independent Socialist Magazine**, Jul / August,VOL. 48 Issues 3, P 21, 19 P.

24) Wood, Ellen Meiksins, (1999) "what is the postmodern agenda?"An introduction, **Monthly Review; An Independent Socialist Magazine**, VOL. 47 Jul / Aug,